مجالات الحوار وآدابه في ضوء القرآن الكريم

حسين عبد العال حسين محمد

قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الأحساء، المملكة العربية السعودية

الملخص

الحوار أسلوب متميز اتبعه القرآن الكريم بشكل منهجي، وهو من أنجع الأساليب لحل المشاكل بين الأفراد. والحوار من أهم وسائل الدعوة إلى الله، ومن هنا كانت الضرورة ملحة للقائمين على الدعوة الإسلامية أن يتقنوا فن الحوار.

ركز البحث الحالي على معنى الحوار وأهميته، ومجالات الحوار في ضوء القرآن الكريم. وعرض البحث آداب الحوار النفسية كتهيئة الجو المناسب للحوار، والإخلاص، والعدل، والتواضع، وحسن الخلق، والصبر، والرحمة بالمحاور، والحرص على إقناعه، وحسن الاستماع والاحترام.

كذلك تعرض البحث لبيان الآداب العلمية للحوار ومنها العلم، وتحديد مواضع الاتفاق، والبدء بالأهم، والالتزام بموضوع الحوار، والالتزام بمكان الحوار وزمانه، والدليل، وضرب الأمثلة، والرجوع إلى الحق، والتسليم بالخطأ.

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج أهمها أن الحوار أسلوب قرآني نبوي ناجح، وأن للحوار آداب وأخلاق لا بد من اتباعها. وأن الحوار حاجة علمية وضرورة فكرية بهدف اللحاق بركب العالم المتقدم، وغياب الحوار أو رفضه يعني زيادة في التخبط والتخلف والعزلة.

وأوصى البحث بتنظيم ندوات ودورات علمية وثقافية لإعداد المحاورين المسلمين وغيرهم إعدادا يجعلهم قادرين على متابعة التطورات السياسية والثقافية، وتقديم مقترحات لتطوير العلاقة بين المسلمين بعضهم البعض، وبينهم وبين غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى لما فيه مصلحة الإنسانية.

الكلمات المفتاحية: الآداب العلمية للحوار، الآداب النفسية للحوار.

المقدمة

من يقرأ في آيات القرآن الكريم ويتدبرها يجد فيه أسلوبا متميزا، ألا وهو أسلوب الحوار، وقد جاء القرآن ليعرض الحوار بشكل متميز يسترعي الانتباه ويلفت الأنظار، ويترك للعقول المجال الواسع لاستنباط العبر والعظات من تلك المحاورات العديدة التي حفل بها القرآن العظيم، والتي جاءت في سور عدة.

والحوار ظاهرة إنسانية عالمية، وهي سنة إلهية نظرا لتفاوت البشر في عقولهم وأفهامهم وأمزجتهم قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾[1]. ونتيجة لهذا الاختلاف في الرأي جاء الحوار وسيلة للوصول إلى الحق والصواب، وقد ضرب الله لنا المثل برجلين تحاورا، حيث كان لأحدهما جنتان مثمرتان وفيهما نهر، واغتر بذلك فحاور صاحبه المتواضع فأخبرنا الله عن حوارهما فقال ﷻ: ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾[2]، فكان جواب صاحبه: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾[3].

(1) سورة هود، الآيات 118-119.

(2) سورة الكهف، من الآية 24.

(3) سورة الكهف، الآية 37.

وقد جاءت خولة بنت ثعلبة تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وهي تقول: يا رسول الله أكل مالي، وأفنى شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبرت سني، وانقطع ولدي ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، فما برحت حتى نزل جبريل بقوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[4]، تقول عائشة رضي الله عنها: وزوجها أوس بن الصامت[5].

فالحوار إذن له أصل ثابت في القرآن والسنة، وهو ينطلق من تأثيرات وأحاسيس تجيش في النفس لإظهار مبدأ، أو تصحيح خطأ، أو نصرة حق أو غير ذلك مما جبلت عليه النفوس البشرية، والحوار من أهم وسائل التفاهم بين الناس، وهو من أهم وسائل المعرفة والإقناع مهما كانت الثقافات والتوجهات، وكذلك من أهم وسائل الدعوة إلى الله ﷻ قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[6]، ومن هنا كانت الضرورة ملحة

(4) سورة المجادلة، الآية 1.

(5) الحاكم، المستدرك 2/ 48. وابن ماجه، السنن 1/ 666، حديث رقم 2063.

(6) سورة النحل، من الآية 125.

للقائمين على الدعوة الإسلامية أن يتقنوا فن الحوار من أجل الوصول إلى قلوب البشر والتأثير فيها نحو الفضيلة والاستقامة على منهاج الله تعالى.

ونظرا لأهمية الحوار في القرآن الكريم وتعدد مجالاته وما ينبغي للمحاور أن يتأدب به مع غيره رأيت أن أكتب بحثا أبين فيه أهمية الحوار ومجالاته وآداب المحاور تحت مسمي: (مجالات الحوار وآدابه في ضوء القرآن الكريم).

ويرجع سبب اختيار الكتابة في هذا الموضوع إلى أن الحوار هو لغة العصر، وهو أقرب السبل إلى الإقناع، بالإضافة إلى أن الحوار أسلوب متميز اتبعه القرآن الكريم بشكل منهجي وهو من أنجع الأساليب وأمثلها لحل المشاكل بين الأفراد، حيث تدور المحاورات ويبدي كل منهم رأيه ووجهة نظره بعيدا عن الضغوط وبعيدا عن الأهواء الفاسدة.

ولهذا الموضوع أهمية كبيرة حيث إنه يساهم في تقدم الأمم وإعطاء أفرادها فرصة التعبير عن الرأي وقبول الرأي الآخر؛ إذ يعد الحوار بديلا عن العنف، كذلك يعمل الحوار على إبراز الجوامع المشتركة بين المتحاورين في العقيدة والأخلاق والثقافة وتعميق المصالح المشتركة بينهم وبهذا نصل إلى تأصيل منهجية الحوار والتأدب بآدابه بين طوائف المجتمع بما يعود عليهم بالخير والوئام.

الخطة المنهجية

حتى تتجلي هذه المعاني الرفيعة السابقة بوضوح قمت بتقسيم البحث إلى مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة:

المقدمة: وفيها بيان السبب في اختيار الموضوع وأهميته وخطة الدراسة.

التمهيد: وفيه بيان مفهوم الحوار وأهميته.

الفصل الأول: مجالات الحوار في ضوء القرآن الكريم، وينقسم إلى مبحثين:

المبحث الأول: حوار أهل الإسلام بعضهم البعض في ضوء القرآن الكريم، وتحته مطالب:

المطلب الأول: منهج الحوار في ضوء القرآن الكريم.

المطلب الثاني: منهج القرآن الكريم في علاقة المسلمين بعضهم البعض.

المطلب الثالث: نماذج من حوار المسلمين بعضهم البعض في ضوء القرآن الكريم.

المبحث الثاني: حوار غير المسلمين في ضوء القرآن الكريم، وتحته مطلبان:

المطلب الأول: الأصول الشرعية في الحوار مع أهل الكتاب وغيرهم.

المطلب الثاني: المنهج الشرعي للحوار بين الأديان.

الفصل الثاني: آداب الحوار، وينقسم إلى مبحثين:

المبحث الأول: آداب الحوار النفسية، وفيه أتعرض للآداب الآتية:

أولا: تهيئة الجو المناسب للحوار.

ثانيا: الإخلاص وصدق النية.

ثالثا: الإنصاف والعدل.

رابعا: التواضع وحسن الخلق.

خامسا: الحلم والصبر.

سادسا: الرحمة والشفقة بالخصم والحرص على إقناعه.

سابعا: حسن الاستماع.

ثامنا: الاحترام والمحبة على رغم الخلاف.

المبحث الثاني: آداب الحوار العلمية، وفيه أتعرض للآداب الآتية:

أولا: العلم.

ثانيا: البدء بالنقاط المشتركة وتحديد مواضع الاتفاق.

ثالثا: التدرج والبدء بالأهم.

رابعا: الالتزام بموضوع الحوار.

خامسا: الالتزام بمكان وزمان الحوار.

سادسا: الدليل.

سابعا: ضرب الأمثلة.

ثامنا: الرجوع إلى الحق والتسليم بالخطأ.

تاسعا: التحدي والإفحام وإقامة الحجة على الخصم.

الخاتمة: وفيها أذكر أهم النتائج والحقائق والتوصيات التي توصلت إليها، وأدعو الله تعالى أن تأتي هذه الدراسة بثمارها، خاصة في هذا العصر الذي ظهرت فيه ثقافات الآخر بفضل أدوات الاتصال المختلفة، بما قد يؤدي إلى الصراع العقدي والثقافي والحضاري في صورة سيئة وهو ما يأباه العقلاء.

فكان لا بد من إيجاد ما يدفع هذا الصراع ممثلاً في إشاعة ثقافة التواصل والحوار الذي يؤول إلى انتشار التسامح ونبذ العنف في المجتمع، وهذا ما يهدف إليه البحث.

والله تعالى أسأل أن ينفعني بما عملت، وأن

يزيدني علما، وأن يعينني على القيام بحقه فيما كلفني، كما أسأله ﷻ بأسمائه الحسني وصفاته العلا أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

التمهيد: مفهوم الحوار وأهميته

أولا: مفهوم الحوار

الحوار: لغة من الحَوْر، بفتح فسكون، وهو الرجوع، قال ابن منظور: أصل الحور الرجوع إلى النقيض.. وهم يتحاورون أي يتراجعون الكلام، والمحاورة مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة.. والمحاورة: المجاوبة والتحاور التجاوب[1].

وقال الراغب الأصفهاني: المحاورة والحوار: المراد في الكلام، ومنه التحاور[2]. وقال تعالى في قصة صاحب الجنتين: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا. وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا. وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا. قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾[3].

قال القرطبي: أي يراجع في الكلام ويجاوبه، والمحاورة المجاوبة، والتحاور التجاوب[4]، قال تعالى في سورة المجادلة: ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[5] أي: تراجعكما في الكلام.

وأطلق صاحب كتاب الطراز على جنس الحوار: «الترجيع في المحاورة»[6].

والترجيع تفعيل من قولك: رجعت الشيء، إذا رددته، ويقال للسماء ذات الرجع؛ لأن المطر يتردد في نزوله منها.

وهناك فرق بين الحوار والجدال: فالحوار في اللغة من الحور وهو الرجوع عن الشيء إلى الشيء ويقصد به المراجعة في الكلام، أما الجدال: فهو من جدل الحبل إذا فتله، أطلق على من خاصم بما يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب، ثم استعمل في مقابل الأدلة لظهور أرجحها[7].

مما سبق يتبين الفرق بين الحوار والجدال، فالأول مراجعة الكلام وتبادله بين المتحاورين وصولاً إلى غاية مستندًا إلى أنه يجري بين صاحبين، أو اثنين ليس بينهما صراع ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾[8]، وأما الجدال فأكثر وروده في القرآن بالمعنى المذموم كقوله تعالى: ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ..﴾[9].

وهذا الجدال حوار لا طائل من ورائه. ولكن الجدال أيضًا منه المحمود، وقد ورد في مواضع من القرآن الكريم من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾[10]. فالجدال بالتي هي أحسن مرادف للحوار الإيجابي البناء، ويجمع بين الحوار والجدال معنى تطارح الرأي، والأخذ والرد، وقد جمعهما قول الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[11].

ويراد بالحوار والجدال في مصطلح الناس: مناقشة بين طرفين أو أطراف يقصد بها تصحيح كلام، وإظهار حجة، وإثبات حق، ودفع شبهة، ورد المفاسد من القول والرأي، وقد يكون من الوسائل في ذلك الطرق المنطقية والقياسات الجدلية من المقدمات والمسلمات مما هو مبسوط في كتب المنطق وعلم الكلام وآداب البحث والمناظرة وأصول الفقه[12].

ولكي يكون التعريف جامعًا يراعى فيه ثلاثة عناصر:

الأول: أن يجمع بين خصمين متضادين.

الثاني: أن يأتي كل خصم في نصرته لنفسه بأدلة

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة (ح و ر)، 2/ 1043. ومجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص 206.

(2) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن للراغب، 1/ 178.

(3) سورة الكهف، الآيات 34-37.

(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 13/ 276.

(5) سورة المجادلة، الآية 1.

(6) العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز 3/ 151

(7) آل نواب، وسطية الإسلام ودعوته إلى الحوار، ص 19-20.

(8) سورة الكهف، الآية 37.

(9) سورة غافر، الآية 5.

(10) سورة العنكبوت، الآية 46.

(11) سورة المجادلة، الآية 1.

(12) آل نواب، وسطية الإسلام ودعوته إلى الحوار، ص ص 10-11.

ترفع شأنه وتعلي مقامه فوق خصمه.

الثالث: أن تصاغ المعاني والمراجعات صوغًا لطيفًا.

والحوار في مصطلح أهل البيان أن يحكي المتكلم مراجعة في القول ومحاورة جرت بينه وبين غيره، بأوجز عبارة وأخصر لفظ فينزل في البلاغة أحسن المنازل وأعجب المواقع، ومن جيد ما قيل:

بِتُ أسقيه صفوة الراح حتى
وضع الكأس مائلاً يتكفا
قلت: عبد العزيز تفديك نفسي
قال: لبيك قلت لبيك ألفا
هاكها قال: هاتها قلت: خذها
قال: لا أستطيعها ثم أغفى

فهذا وما شاكله من جيد ما يؤثر في المحاورة، وترجيع الخطاب على جهة الاستعطاف والملاطفة(1).

والحوار في الجملة يوظف لنقل معلومة لا بطريق الخبر، وإنما من خلال السؤال والجواب، أو رأيين يلتقيان أو يفترقان من حول الشيء ونقيضه مما يعطى في الإطار الذي تنقل به المعلومة حيوية تفضل السرد الذي قد يشعر السأم والملل، فتستنفد المحاورة عناية واهتمام السامع والقارئ على السواء لمتابعة ما يطرح من معلومة أو معلومات من موضوع من موضوعات المحاورة.

ثانيا: أهمية الحوار

للحوار أهمية بالغة، وهو طريق الوصول للحق والصواب، وقد انتهج الإسلام هذا الأسلوب الحكيم منذ أكثر من أربعة عشر قرنا، لذا ساد الدنيا وقاد الأديان، وقد ضرب القرآن الكريم والسنة النبوية أروع الأمثلة في الحوار البناء الذي يصل محاوروه إلى الحقيقة، ويجادلون بالتي هي أحسن وقد أمر الله تعالى نبيه أن يستخدم هذا الأسلوب في دعوته إلى ربه حيث قال له في محكم التنزيل: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(2).

يقول فضيلة الدكتور سلمان العودة: تبرز أهمية الحوار من جانبين:

الجانب الأول: دعوة الناس إلى الإسلام والسنة: فتعقد لذلك محاورات مع غير المسلمين؛ لإقناعهم بأن دين الله تعالى حق لا شك فيه، أو مع مبتدعين منحرفين عن السنة، لدعوتهم إلى السنة وأمرهم بالتزامها. والقرآن الكريم حافل بنماذج من مثل هذه الحوارات التي جرت بين أنبياء الله ورسله -عليهم الصلاة والسلام- وبين أقوامهم، حتى إن قوم نوح قالوا له: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾(3). فأكثر جدالهم حتى تبرموا منه من كثرة جداله لهم.

الجانب الثاني: فصل الخلاف في الأمور الاجتهادية: فالحوار يُعد وسيلة للوصول إلى اليقين والحق في مسألة اجتهادية اختلفت فيها أقوال المجتهدين، فيتكلم اثنان في محاورة أو مناظرة للوصول إلى الحق في مسألة اجتهادية ليس فيها نص صريح، أو إجماع لا يجوز تعديه(4).

ومن ينظر الآن على الساحة، وخاصة في هذه المستجدات وما يموج به العالم العربي من فتن ومظاهرات واعتصامات يجد أنه لا طريق للتفاهم والوصول إلى الأمن والاستقرار إلا عن طريق الحوار وجمع وجهات النظر طلبا للوصول إلى الحق، ويعجبني في هذا المقام نقل ما ذكره الدكتور أحمد محمد الشرقاوي عن أهمية الحوار وكيف أنه لغة العقل والمنطق الآن حيث قال: «الحوار لغة العقل والمنطق حيث تنتصر فيه قوة الحجة والبرهان دون خسائر بشرية أو مادية، فلا يحتاج إلى إعداد الجيوش وتجهيزها، ولا يبدد ثروات الشعوب وإمكاناتها في سباق التسلح، وما أدراك ما ينفق عليه من أموال تكفي إطعام كل جائع وتزويج كل أيم وإيواء كل مشرد على وجه الأرض، وإن كانت لغة القوة لا يستغنى عنها في الدفاع عن الأنفس والأرواح، واستعادة الحقوق، قال أبو تمام:

السيف أصدق أنباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب(5)

لقد كان الجهاد لتأمين طريق الدعوة وتهيئة أجواء الحوار الهادف، وإزالة كل سلطان وطغيان يقف عقبة في طريق الحق، وتحرير الشعوب من أكابر المجرمين، الذين يستبدون ويستعبدون المستضعفين بالقسر والقهر والجبر، قال الله تعالى:

(1) زيادة، الحوار والمناظرة في القرآن الكريم، ص 150.
(2) سورة النحل، من الآية 125.
(3) سورة هود، الآية 32.
(4) العودة، أدب الحوار، ص 18 وما بعدها.
(5) التبريزي، شرح ديوان أبي تمام 1/ 32.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ. وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللهِ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾[1].

كما يعد الحوار لونًا من ألوان الجهاد، فعن أنس ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»[2].

وفي هذا الحديث أمر بالمناظرة وإيجابها كإيجاب الجهاد والنفقة في سبيل الله، وهذا الواجب قد فرط فيه كثير من الدعاة والمصلحين، ففي الوقت الذي نجد فيه دعاة التقريب بين الأديان ودعاة العصرانية ينشطون لذلك ويعقدون الندوات والمؤتمرات -تارة باسم التعاون وأخرى باسم التسامح والتعايش وثالثة باسم تحاشي النزاعات وصدام الحضارات على حد زعمهم- نجد في الوقت نفسه تقاعسًا كبيرًا وعزوفًا من دعاة الحق عن هذا النوع من الجهاد[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- عن الجدل: هو من باب دفع الصائل، فإذا عارض الحق معارض جودل بالتي هي أحسن[4]. والله ﷻ قد يدفع بالحجة واللسان ما لا يدفعه بالسنان، وقال الفقيه ابن حزم رحمه الله: «ولا غيظ أغيظ على الكفار والمبطلين من هتك أقوالهم بالحجة الصادعة، وقد تهزم العساكر الكبار، والحجة الصحيحة لا تهزم أبدًا، فهي أدعى إلى الحق وأنصر للدين من السلاح الشاكي والأعداد الجمة»[5].

أقول: إن للحوار أهمية كبيرة في حياة المسلم، فإذا كان المسلم يسعى لنشر دعوته من خلال وسائل وطرق، فإن وسيلته الأولى المتقدمة على غيرها هي وسيلة الكلمة والحوار، وإنه بمقدار ما يكون الداعية متمكنًا من فن الحوار، محيطًا بآدابه وأساليبه يكون أقدر على النجاح في دعوته.

(1) سورة الأنعام، الآيتان 123-124.
(2) أبو داود السجستاني، السنن، كتاب الجهاد، باب كراهية ترك الغزو. وأحمد، المسند 3/ 124.
(3) الصمداني، رؤية شرعية في الجدال والحوار مع أهل الكتاب.
(4) ابن تيمية، الرد على المنطقيين 1/ 468.
(5) ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام 1/ 128.

الفصل الأول: مجالات الحوار في ضوء القرآن الكريم[6]

تنوعت مجالات الحوار في القرآن الكريم، فتارة نجد الحوار فيه يتسم بأسلوب الدعوة ليبين للجميع صحة الدين الإسلامي، وكيف كان ناسخا لما سبقه من أديان، ويركز هذا الحوار على محاسن هذا الدين واستحقاقه أن يكون الدين الخالد الذي لا يُقبل غيره ومن يبتغي غيره لا يقبل منه.

وتارة نجد الحوار في القرآن يهدف إلى تحسين مستوى العلاقة بين الشعوب والطوائف المختلفة، وهو ما يسمى بحوار التعايش حيث يدعو إلى العيش في أمن وأمان بين الشعوب والمجتمعات مع الاختلاف الديني والفكري والثقافي، مع مراعاة مبدأ الولاء والبراء وإقامة العدل والإنصاف بين كل الناس، وقد ضرب الإسلام أروع الأمثلة في التسامح مع الآخر.

وقد استحدثت في العصر الحديث أنواع أخرى من الحوارات لا تتفق مع المنهج الشرعي المستقى من القرآن الكريم والسنة النبوية، وهو ما أطلق عليه حوار التقارب بين الأديان، وحوار وحدة الأديان، وحوار توحيد الأديان، وغير ذلك، وهذه الحوارات مخالفة ومناقضة لمنهج الأنبياء في الدعوة والحوار، حيث إنها تتضمن أمورا منافية لأصل الدين وهادمة له، وهي لا تنسجم مع العقيدة الصحيحة، ويجب على المحاور المسلم أن يكون فطنا إذا ما دعي إلى مثل هذه المحاورات، وفيما يلي أنتقل إلى أهم مجالين من مجالات الحوار في القرآن الكريم وهما حوار أهل الإسلام بعضهم البعض في ضوء القرآن الكريم، وحوار الخارجين على الأمة في ضوء القرآن الكريم، فأقول وبالله التوفيق:

(6) للحوار في القرآن الكريم أصول تختلف عن مجالاته وآدابه ومن هذه الأصول:-
1- سلوك الطرق العلمية والتزامها.
2- سلامة كلام المناظر ودليله من التناقض.
3- ألا يكون الدليل هو عين الدعوى.
4- الاتفاق على منطلقات ثابتة وقضايا مسلمة.
5- أهلية المحاور.
6- قطعية النتائج ونسبتها.
7- الرضا والقبول بالنتائج التي يتوصل إليها المتحاورون.
وللمزيد من معرفة هذه الأصول يمكن مراجعة: ابن حميد، أصول الحوار وآدابه في الإسلام، ص 8 وما بعدها. والعودة، أدب الحوار، ص 26 وما بعدها. وكامل، آداب الحوار وقواعد الاختلاف، ص 4 وما بعدها.

المبحث الأول: حوار أهل الإسلام بعضهم البعض في ضوء القرآن الكريم

تمهيد:

ما سمي الإنسان إنسانا إلا لأنه يأنس إلى غيره ويميل إلى جنسه، وهو لا يستطيع العيش بمعزل، لذا كان الإنسان في اتصال دائم بالآخرين في قضاء جميع شؤونه، ويعد الحوار أبرز الوسائل الموصلة إلى الإقناع، والهدف الرئيسي من ورائه تحقيق التواصل والتقارب، والحوار في وقتنا الحاضر يعد من المفاهيم الأكثر رقيا في التعامل بين البشر، وإنه منذ اللحظة الأولى للتكوين الإنساني كرس الخالق ﷻ هذه القيمة الجمالية التي لها الأثر الواضح في دعم الحياة الإنسانية، وتحقيق تواصلهم في سبيل التكامل المعرفي فيما بينهم قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾[1].

وحاجتنا إلى الحوار لا تقتصر على مواطن الخلاف فقط، بل هي ضرورة مرادة في شتى أبعاد الحياة؛ بين الزوج وزوجته، والجماعة الواحدة، والشعوب والقبائل، وهذا التعارف حوار ثقافات، فهو يزكي الأفكار وينميها ويقرب بين القلوب ويصفيها، بل هو البوابة التي ندخل منها إلى بوتقة هذه الدنيا المليئة بالمتنافرات والمتغيرات.

والحوار الذي نسعى إليه هو النقاش الإيجابي القائم على أسس صحيحة سليمة معتمدة على قواعد الحوار وفنونه لا المنابذات، وبهذا يتبين أن الحوار ليس نافلة من القول يتشدق به، بل هو منطلق الحياة بين الأفراد والجماعات.

وفيما يلي نقف عدة وقفات من خلال ثلاثة مطالب:

الأول: منهج الحوار في ضوء القرآن الكريم.

الثاني: منهج القرآن الكريم في علاقة المسلمين بعضهم البعض.

الثالث: نماذج من حوار المسلمين بعضهم البعض في ضوء القرآن الكريم.

فأقول وبالله التوفيق:

المطلب الأول: منهج الحوار في القرآن الكريم

الاختلاف بين الناس في شؤون دينهم ودنياهم أمر قديم، وسيبقى هذا الاختلاف بينهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهذه الحقيقة قد أكدها القرآن الكريم في كثير من آياته؛ من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[2]، وقوله ﷻ: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[3].

وهكذا يكشف الله تعالى عن سنته في كون الناس مختلفين في مناهجهم واتجاهاتهم وهو قادر على أن يجعل الناس جميعا أمة واحدة، ولكن إرادته اقتضت إعطاء البشر قدرا من الاختبار، والحكمة الإلهية قد اقتضت أن يكون الناس مختلفين، وأن رحمة ربك التي وسعت كل شيء ستشملهم ما دام اختلافهم من أجل الوصول إلى الحق والصواب.

والاختلاف بين الناس في القضايا الدينية أو الدنيوية له أسباب متعددة وبواعث متنوعة، منها: الظاهر الجلي، ومنها الباطن الخفي، ومنها ما يكون الدافع إليه معرفة الحقيقة على الوجه الأكمل والأوفق وإقامة الأدلة والبراهين على ذلك، وهذا ما يسمى في عرف علماء البحث بالمناظرة أو الجدل.

وإذا أرشدنا القرآن إلى أن الاختلاف حقيقة وواقع، ودعانا إلى التعامل مع هذه الحقيقة من خلال الحوار، فما المنهج الذي رسمه القرآن لذلك؟ هذا ما نحاول إيضاحه وبيانه فيما يلي:

يقول الأستاذ فاضل بشناق: لقد اعتبر الإسلام الحوار قاعدته الأساسية في دعوته الناس إلى الإيمان بالله وعبادته، وكذا في كل قضايا الخلاف بينه وبين أعدائه، وكما أنه لا مقدسات في التفكير، كذلك لا مقدسات في الحوار، إذ لا يمكن أن يغلق باب من أبواب المعرفة أمام الإنسان، لأن الله تعالى جعل ذلك وحده هو الحجة على الإنسان في الطريق الواسع الممتد أمامه في كل المجالات المتصلة بالله والحياة والإنسان.

وقد أكد القرآن هذا المبدأ بطرق عديدة، فعرض القرآن لحوار الله مع خلقه بواسطة الرسل، وكذا مع الملائكة ومع إبليس، رغم أنه يمتلك القوة ويكفيه أن يكون له الأمر وعليهم الطاعة، كما أن دعوات الرسل كلها كانت محكومة بالحوار مع أقوامهم، وقد أطال القرآن في عرض كثير من إحداثيات هذه الحوارات بين الرسل وأقوامهم،

(1) سورة الحجرات، الآية 13.

(2) سورة المائدة، الآية 48.

(3) سورة هود، الآيتان 118-119.

ولم يشجب القرآن في هذا الباب موقفًا كما شجب موقف رفض الحوار والإصرار على عدم ممارسته قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ. يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عليهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[1]، وقال ﷻ: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إليهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾[2]، ولم يكن حديث القرآن عن الحوار عرضيًا بل اهتم به اهتمامًا كبيرًا من حيث المنهج والقواعد التي ينبغي أن يسير عليها، وعرض لأساليب ونماذج مما يعطي المتأمل فيه نظرية متكاملة عن الحوار من خلال القرآن الكريم.

وتنطلق رحلة المنهج الحواري في القرآن من بداياته الأولى؛ حيث لا بد من أن يتكافأ الطرفان من حيث الاستعدادات النفسية وامتلاك القدرة على الحوار، ومن ثم ترسم قواعده التي سيسير عليها، ويلتزم الأطراف بالخضوع لما يكشف عنه الحوار من حقائق؛ فإذا تم فإما أن يصل الطرفان إلى نتيجة واحدة فيكون قد نجح، وإما أن لا يقنع أحد الفريقين، أو أن يعاند فإنه يمارس حقا اعترف به بقبول الحوار، وعندما ينتهي الحوار إلى هذه النتيجة فللمسلم رسالة يختم بها حواره في تذكير الطرف الآخر بأنه مسؤول عما وصل إليه، تلك هي عناوين لتفاصيل قرآنية حول الحوار نذكر بعضها فيما يأتي:

1. **امتلاك الحرية الفكرية**: لكي يبدأ الحوار لا بد أن يمتلك أطرافه حرية الفكر، التي يرافقها ثقة الفرد بشخصيته الفكرية المستقلة، فلا ينسحق أمام الآخر لما يحس فيه من العظمة والقوة التي يمتلكها الآخر، فتتضاءل إزاء ذلك ثقته بنفسه وبالتالي بفكره، وقابليته لأن يكون طرفًا للحوار فيتجمد ويتحول إلى صدى للأفكار التي يتلقاها من الآخر لذلك أمر الله رسوله أن يحقق ذلك ويوفره لمحاوريه قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾[3]، وقال عز من قائل: ﴿قُل لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[4]، فبلا شك حينما يمتلك المتحاوران حرية الفكر وإبداء الرأي يؤدي ذلك إلى تحقق الثمرة المرجوة من الحوار وهي الوصول للحقائق وعدم سيطرة أحد المتخاصمين على الآخر لأن كلا منهما تحدث بحرية وفكر مستقل.

2. **مناقشة منهج التفكير**: بعد أن يمتلك أطراف الحوار الحرية الفكرية يناقشون بعد ذلك في المنهج الفكري وذلك قبل المناقشة في طبيعة الفكر وتفاصيلها في محاولة لتعريفهم بالحقيقة التي غفلوا عنها وهي أن القضايا الفكرية لا ترتبط بالقضايا الشخصية فلكل مجاله ولكل أصوله التي ينطلق منها ويمتد إليها، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ الله قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عليهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[5]، وقال أيضا: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدتُّمْ عليهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾[6]، وكما هو واضح من الآيات القرآنية عاب الله تعالى على من يقلدون آباءهم ولم يعملوا عقولهم ولم يستخدموا نعمة التفكير، وتقليد الآباء والأجداد لا يغني عنهم شيئا حينما يعرضون على ربهم فكل نفس بما كسبت رهينة.

3. **الابتعاد عن الأجواء الانفعالية**: كي يكون الحوار ناجحا يجب أن يبتعد المتحاورون عن الأجواء التي قد تؤدي إلى انفعالهما وتغير آرائهما، ويجب أن يكون الحوار في جو هادئ حيث إن الأجواء الانفعالية تبتعد بالإنسان عن الوقوف مع نفسه وقفة تأمل وتفكير، فإنَّه قد يخضع للجو الاجتماعي ويستسلم لا شعوريا، مما يفقده استقلاله الفكري، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لله مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾[7]. فاعتبر القرآن اتهام النبي ﷺ بالجنون خاضعا للجو الانفعالي العدائي لخصومه، لذلك دعاهم إلى الانفصال عن هذا الجو والتفكير بانفراد وهدوء، والواقع يصدق ذلك، فما من حوار تخلله الانفعال

(1) سورة الجاثية، الآيات 7-9.
(2) سورة فصلت، الآية 5.
(3) سورة الكهف، الآية 110.
(4) سورة الأعراف، الآية 188.
(5) سورة البقرة، الآية 170.
(6) سورة الزخرف، الآيتان 23، 24.
(7) سورة سبأ، الآية 46.

من المتحاورين أو أحدهما إلا وكانت ثماره ونهايته مخيبة وانتهى الحوار بالخصومة والفراق ولم يصل إلى فائدة، وذلك نتيجة عدم التحكم في النفس وعدم ضبط تصرفاتها.

4. **التسليم بإمكانية صواب الخصم**: من القيم الإنسانية أن يعتقد الإنسان دائما أن رأيه صواب قد يحتمل الخطأ ورأي غيره خطأ قد يحتمل الصواب، ومعلوم أن الخطأ من صفات النفس البشرية، ولا بد لانطلاق الحوار من التسليم الجدلي بأنَّ الخصم قد يكون على حق، فبعد مناقشة طويلة في الأدلة على وحدانية الله تأتي هذه الآية من سورة سبأ: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾[1]، ثم يضيف على الفور في تنازل كبير بغية حمل الطرف الآخر على القبول بالحوار: ﴿ قُلْ لا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[2]، فيجعل اختياره هو بمرتبة الإجرام على الرغم من أنه هو الصواب، ولا يصف اختيار الخصم بغير مجرد العمل، ليقرر في النهاية أن الحكم النهائي لله ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴾[3]، وهذه طبيعة العقول البشرية احتمال الصواب والخطأ فليس من أصول الحوار البناء التشبث بالرأي وتخطئة الخصم في جميع ما يقول، وهنا تظهر أهمية تقوية الكلام بالدليل والبرهان فليس للكلام المرسل قوة الكلام الموثق، وهذا منهج القرآن الكريم في سوق الأدلة على وجود الله ووحدانيته فدائما يذيل بذكر الدليل.

5. **التعهد والالتزام باتباع الحق**: من ثمار الحوار البناء أن يعتقد الإنسان بل يجزم ويتعهد أمام الله وأمام الحاضرين أنه يلتزم باتباع الحق حتى وإن لم يكن رأيه هو هذا، ولا يكفي مجرد التسليم الجدلي بإمكانية صواب الخصم، بل لا بد من التعهد والالتزام باتباع الحق إن ظهر على يديه، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾[4]. وقد ضرب الصحابة في ذلك أروع الأمثلة، ولعل من أبرزها موقف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما أراد أن يضع حدا للمهور فراجعته امرأة وذكرته بآية النساء ﴿ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا ﴾[5]، فالآية لم تضع حدا لمهور النساء فما كان من عمر إلا أن رجع وأقر بخطئه وصوب كلام المرأة وهذا هو الحق المبين.

6. **الانضباط بالقواعد المنطقية في مناقشة موضع الاختلاف**: إذا انضبط المحاور بالقواعد المنطقية في مناقشة موضع الاختلاف بأن كان معتمدا على قواعد العقل والمنطق والعلم والحجة والبرهان، والحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، فلا بد أن يؤتي أُكله وثماره، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه القواعد في أكثر من موضع؛ من ذلك قوله تعالى: ﴿ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ﴾[6]، وقال تعالى مرشدا إلى اعتماد العلم والحجة في الحوار: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴾[7]، وفي اتباع اللين والحكمة والموعظة الحسنة يأمر الله موسى عليه السلام بقوله: ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلا تَنِيَا فِي ذِكْرِي. اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى. فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾[8]، ويأمر باتباع الحكمة في الدعوة فيقول: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ. وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾[9]، وتأكيدا لهذا المنهج ينهى الله المؤمنين عن اتباع أساليب السفهاء ومجاراتهم في السبِّ والتسفيه لمعتقدات الآخر، قال تعالى: ﴿ وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[10]، والحق أن من سار على طريق القرآن الكريم أصاب وأفاد فقد خط الطريق السليم في الحوار البناء، ووضع القواعد والأصول للحوار المفيد وخاصة في مجال الدعوة إلى الله تعالى ومحاجة الخصوم والآيات سالفة الذكر خير دليل على ذلك.

7. **ختم الحوار بهدوء مهما كانت النتائج**: من الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالحسنى أن يختتم الحوار بهدوء مهما كانت النتائج المترتبة على ذلك فإذا سار الحوار جادًّا وفق هذا المنهج

(1) سورة سبأ، الآية 24.
(2) سورة سبأ، الآية 25.
(3) سورة سبأ، الآية 26.
(4) سورة الزخرف، الآية 81.
(5) سورة النساء، الآية 20.
(6) سورة البقرة، الآية 111. وسورة الأنبياء، الآية 24. وسورة النمل، الآية 64. وسورة القصص، الآية 75.
(7) سورة الحج، الآية 8. وسورة لقمان، الآية 20.
(8) سورة طه، الآيات 42-44.
(9) سورة فصلت، الآيات 33-34.
(10) سورة الأنعام، الآية 108.

من قبل جميع الأطراف فلا بد أن يصلوا جميعا إلى ما التزموا به في بداية الحوار من الرجوع إلى الحق وتأييد الصواب، فإذا رفض المحاور الحجج العقلية كأن لم يقتنع بها فإنه بذلك يمارس حقا أصيلاً كفله له رب العزة، وسيكون مسؤولا عن ذلك أمام الله تعالى. وفي هذه الحالة ينتهي الحوار بهدوء كما بدأ دون حاجة إلى التوتر والانفعال، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾[1]، وقال ﷻ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾[2]، وهذا هو المنهج الرباني الذي طلب الله تعالى من أتباعه أن يسيروا عليه وأمر به رسول الله ﷺ أتباعه لأن فيه المصلحة للأمة جمعاء.

8. **تأكيد استقلالية كل من المتحاورين ومسؤوليته عن فكره:** الإنسان مسؤول عن فكره وآرائه، هذا ما يجب تأكيده، فلا بد أن يقر المتحاوران باستقلالية كل منهما ومسؤوليته التامة عن فكره وأقواله قبل الانفصال، قال تعالى: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ. قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[3]، وقال ﷻ على لسان شعيب: ﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾[4]. إنها مسؤولية فردية لا تداخل فيها، قال تعالى: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾[5].

9. **الإشهاد على المبدأ وعدم تتبع الأخطاء الناتجة عن الانفعال أثناء الحوار:** وفي آخر الحوار يتم إشهادهم على المبدأ والتمسك به، قال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[6]، ولا حاجة في أن يُتابَعَ الخصم على ما بدر منه من إساءات في الحوار، وليكن العفو والصبر أساسا وخلقا في التعامل مع الجاهلين، قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[7]، وقال: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾[8]، فاحترام الآخر حتى وإن كان مخطئا وعدم إحراجه أمام الآخرين هو المنهج الرصين في الحوار الإسلامي.

من خلال ما سبق يتبين لنا أن المنهج القرآني في الحوار يرشد إلى إنهائه بمهمة وأداء رسالة يبقى أثرها في الضمير إن لم يظهر أثرها في الفكر، إنه أسلوب لا يسيء إلى الخصم بل يؤكد حريته واستقلاليته، ويقوده إلى موقع المسؤولية ليتحرك الجميع في إطارها وينطلقوا منها ومعها في أكثر من مجال.

المطلب الثاني: منهج القرآن الكريم في علاقة المسلمين بعضهم ببعض

جاء الإسلام ليجمع قلوب المسلمين ويضم صفوفهم ويوحد كلمتهم مستهدفًا من ذلك إقامة كيان موحد، متجنبا دواعي الفرقة وعوامل الضعف وأسباب الفشل؛ حتى يكون لهذا الكيان الموحد القدرة على تحقيق الغايات السامية والأهداف النبيلة والمقاصد الشريفة التي جاء من أجلها ولأجلها.

ومن أجل ذلك يهدف الإسلام أول ما يهدف إلى تكوين صلات وروابط تربط بين أفراد الأمة لتخلق هذا الكيان المتسق المتجانس وتعمل على تدعيمه، وهذه الروابط من شأنها أن تجعل بين المسلمين تماسكا قويا وتقيم منهم كيانا يستعصى على الفرقة وينأى عن الحل ومن أهم هذه الروابط ما يأتي:

1. **رابط الإيمان بالله تعالى:** لا ريب أن علاقة الإنسان بخالقه تنشأ على رأس المهام التي من أجلها ولأجلها بعث الله الأنبياء والمرسلين، وفي سبيل إظهارها وإجلالها كرسوا حياتهم أجمعين، وقد أعطى النبي الخاتم ﷺ اهتماماته العميقة لتلك العلاقات الروحية والسلوكية التي تصل العبد بخالقه جل ثناؤه والتي تتحقق في أن يسلم العبد وجهه لله، قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[9]. يقول العلامة الألوسي: «بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ» أي: انقاد لما قضى الله تعالى

(1) سورة هود، الآية 35.
(2) سورة القصص، الآية 55.
(3) سورة الأنعام، 134-135.
(4) سورة هود، الآية 63.
(5) سورة يونس، الآية 41.
(6) سورة آل عمران، الآية 64.
(7) سورة الأعراف، الآية 199.
(8) سورة المزمل، الآية 10. يراجع ما سبق في: حللي، منهج الحوار في القرآن الكريم.
(9) سورة البقرة، الآية 112.

وقدر، أو أخلص له نفسه، أو قصده فلم يشرك به تعالى غيره، أو لم يقصد سواه، فالوجه إما مستعار للذات وتخصيصه بالذكر لأنه أشرف الأعضاء ومعدن الحواس، وإما مجاز عن القصد؛ لأن القاصد للشيء مواجه له»[1].

وإسلام الوجه لله تعالى هو جوهر العلاقة الروحية السامية التي تصل الإنسان بربه، ولكن لكي يسلم العبد وجهه لله ويسعى إليه بالعمل الصالح والحياة الكريمة يجب أن يكون قد عرفه وآمن به، فأولى تبعات وجود الإنسان أن يؤمن بالله الذي منحه هذا الوجود، وعندما يؤمن العبد بالله ﷻ إيمانا صادقا، فإن ذلك الإيمان سوف يقتضيه أن يعبد الله ويطيعه، وتلك فطرة الله حيث يوجد يقين كامن وكامل في أعماق كل إنسان بوجود الله، قال تعالى: ﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عليهَا﴾[2]، ويقول ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة»[3]، وبذلك يتبين أن الإيمان بالله المنعم المتفضل الذي يستند إليه العالم في خلقه وتكوينه ودقة صنعه وتنظيمه شأن فطرى تنزع إليه النفوس متى سلمت من الآفات والتعصب والهوى.

وكما علمنا الرسول ﷺ فإن: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»[4]، ويعد الإيمان بالله قاعدة بناء المجتمع الإسلامي، والمقوم الأصيل بين مقوماته؛ لذلك حتّم الله تعالى الإيمان على كل إنسان، وجعل ذلك الإيمان قاعدة البناء الذي لا يقوم البناء بدونه.

والإيمان ينبذ التفرقة ويدعو إلى الصداقة والصحبة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عليهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عليكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[5]، ويقول ﷺ: «لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تناجشوا ولا تدابروا ولا يغتب بعضكم بعضا وكونوا عباد الله إخوانا»[6]، ويقول ﷻ: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[7]. كذلك يركز الإسلام على مصادر الشقاق والنزاع؛ لذا يجعل لها حرمة خاصة، يقول النبي ﷺ: «إن أموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا»[8]، ويقول ﷻ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[9].

وبذلك يتحقق الإيمان الكامل حينما يكون المسلمون متماسكون متحاورون معتصمون بحبل الله وسنة نبيه متحابون فيما بينهم، ربهم واحد ودينهم واحد يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله.

2. رابط التكافل الاجتماعي: إن الإسلام يقرر مبدأ التبعية الفردية في مقابل الحرية الفردية، ويقرر أيضا التبعية الجماعية التي تشمل الفرد والجماعة بتكاليفها. والتكافل الاجتماعي تارة يكون بين الفرد وذاته، وتارة يكون بين الفرد وأسرته، وتارة يكون بين الفرد والجماعة. وسوف ألقي الضوء على هذه الأنواع – بإيجاز – فيما يلي:

أ – التكافل بين الفرد وذاته: لا شك أن الإنسان يكونه مكلفا إزاء نفسه بأن يعطيها حقها من العمل والراحة؛ فلا يميل إلى إنهاكها أو يجنح في إضعافها، ويجب عليه أن يمتعها من الخيرات التي أنعم الله بها عليه، قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إليكَ﴾[10]، ويقول سبحانه: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[11]. يقول الشيخ المراغي رحمه الله: يرى بعض العلماء وجوب الزينة للعبادة عند كل مسجد بحسب عرف الناس في تزينهم في المجامع والمحافل ليكون

(1) الألوسي، روح المعاني 2/ 360.
(2) سورة الروم، من الآية 30.
(3) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه 1/ 456.
(4) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، 1/ 27.
(5) سورة التوبة، الآية 128.
(6) مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم التحاسد والتباغض والتدابر 5/ 143.
(7) سورة الحجرات، من الآية 12.
(8) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى.
(9) سورة الحجرات، الآية 10.
(10) سورة القصص، من الآية 77.
(11) سورة الأعراف، الآيتان 31–32.

المؤمن حين عبادة ربه مع عباده المؤمنين في أجمل حال لا تقصير فيها ولا إسراف. ثم يقول: وهذا الأمر بالزينة عند كل مسجد أصل من الأصول الدينية والمدنية عند المسلمين، وكان سببا في تعليم القبائل المتوحشة القاطنة في الكهوف والغابات أفرادا وجماعات لبس الثياب عند دخولها في حظيرة الإسلام، وكانوا قبل ذلك يعيشون عراة الأجسام رجالا ونساء حتى ذكر بعض المنصفين من الإفرنج أن لانتشار الإسلام في أفريقية منةً على أوربا بنشره للمدنية بين أهلها، إذ ألزمهم ترك العري وأوجب لبس الثياب؛ فكان ذلك سببا في رواج تجارة المنسوجات، وبهذا نقل الإسلام أمما وشعوبا كثيرة من الوحشية إلى الحضارة الراقية[1].

والإنسان يكون مكلفا كذلك بغلبة النفس وعداوة الشيطان ويزكيها ويعمل على نقاوتها وطهارتها وأن يسلك بها طريق النجاة ولا يلقي بها إلى التهلكة، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَى. وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى. وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى. فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[2]، والإنسان مكلف بالحفاظ على نفسه وعدم الاعتداء عليها أو الخلاص منها، قال تعالى: ﴿وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[3]. والتبعية الفردية كاملة فكل إنسان وما كسبت يداه فإن زرع شرا فإنه لا يحصد إلا شرا، وإن غرس خيرا فإنه لا يجنى إلا خيرا، ولن يجزي عنه أحد في الدنيا أو الآخرة، قال تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى. وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى. ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاء الْأَوْفَى. وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى﴾[4]، فالإنسان يجب عليه أن يقف موقف الرقيب من نفسه يهديها سواء السبيل إن ضلت، ويحاسبها إن أخطأت، ويمنحها حقوقها المشروعة ويتحمل تبعة إهماله لها.

ب - التكافل بين الفرد وأسرته: الأسرة قوام المجتمع إذا صلح حالها كان المجتمع سويا، وإذا شابها انحلال انخرط المجتمع في سلك الرذائل، فلا بد من الاعتراف بقيمة تلك الأسرة، والأسرة تمد المجتمع بالأيدي العاملة والسواعد الفتية وإليها يرد رقي المجتمع وتقدمه، فيجب أن تسودها الرحمة ويتخللها العطف والمودة ويتحقق بينهما الحوار البناء. من هنا أوصى القرآن الكريم بالوالدين وأمر ببرهما ونهى عن عقوقهما، والآيات في ذلك كثيرة؛ منها قوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[5]. وعن ابن مسعود ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ: أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: «الصلاة لوقتها»، قلت: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين»، قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»[6].

وحذر النبي ﷺ من عقوق الوالدين؛ ففي الحديث الصحيح أنه ﷺ قال لأصحابه: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» قالها ثلاثا، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «الإشراك بالله وعقوق الوالدين»[7].

ويعد التوارث المادي للثروة من مظاهر التكافل بين أفراد الأسرة الواحدة وبين الأجيال المتتابعة. ونظام الإرث الإسلامي يعد عدلا بين الجهد والجزاء وبين الغنم والغرم في محيط الأسرة وقد أثبتته الشريعة الإسلامية لأنها تقرر الملكية للأفراد، وتوجب الضمان على من يتعدى على ملك غيره فيتلفه، ولا شك أن إثبات الإرث للأقربين أقرب إلى الإنصاف من غيره؛ إذ إنه روعي فيه ميل المورث إلى أقربائه وإيثارهم على غيرهم، كما أوصى الله الورثة أن يعطفوا على ذوي القربى من الأرحام الذين لا حق لهم في التركة فقال تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُواْ الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾[8]. يقول العلامة القرطبي عند تفسيره للآية: بين الله تعالى أن من لم يستحق شيئا إرثا وحضر القسمة وكان من الأقارب أو اليتامى والفقراء الذين لا يرثون أن يكرموا ولا يحرموا إن كان المال كثيرا، والاعتذار إليهم إن كان عقارا أو قليلا لا يقبل العطاء، وإن

(1) المراغي، تفسير المراغي 8/ 133.
(2) سورة النازعات، الآيات 37-41.
(3) سورة البقرة، من الآية 195.
(4) سورة النجم، الآيات 39-42.

(5) سورة الإسراء، الآيتان 23، 24.
(6) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال 1/ 125.
(7) المرجع السابق، كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور 2/ 939.
(8) سورة النساء، الآية 8.
ويراجع: الشرباصي، الإصلاح المنشود للأسرة، ص 188-190 بتصرف واختصار.

كان عطاء من القليل ففيه أجر عظيم درهم يسبق مائة ألف[1].

جـ - التكافل بين الفرد والجماعة: هذا التكافل يفرض على كل منهما مهام وتبعات، ويقرر لهما حقوقا وامتيازات، والإسلام يبلغ في هذا التكافل حد التوحيد بين المصلحتين وحد العقاب على التقصير من أيهما في النهوض بتبعاته في شتى المجالات، لكل فرد مكلف أن يعمل ويحسن عمله الخاص، وإحسان الإنسان لعمله يعد من قبيل العبادة؛ لأن ثمرة عمل الإنسان الخاص ملك للجماعة، وعائدة عليها في النهاية، ولا يعرف الإسلام التواكل بل يعرف التوكل الذي هو الاعتماد على الله بعد بذل الجهد والأخذ بأسباب النجاح، أما التواكل فهو عجز وبلادة حس ودناءة نفس لا يرضاها المؤمن لنفسه، قال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى الله عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[2]. لكن يجب أن يكون العمل في حدود الشرعية التي لا تمس حقوق الآخرين ولا تضر بمصالحهم، حتى تعيش الجماعة في سلام وتكافل وتعاون على الخير، قال ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»[3]. وذلك لأن كل إنسان يكون مكلفا برعاية مصالح الجماعة كأنه حارس لها موكل بها، يقول ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[4].

وليس هناك فرد معفي من رعاية المصالح العامة والحفاظ عليها، وهو مسؤول عن رعيته في المجتمع، والتعاون بين جميع الأفراد واجب لمصلحة الجماعة في حدود البر والمعروف، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[5]، ويقول ﷻ: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ﴾[6].

ويلقى على عاتق الدولة واجب حماية الضعفاء فيها ورعاية مصالحهم والحفاظ عليها وأن ترزقهم بما فيه الكفاية فتتقاضى أموال الزكاة وتنفقها في مصارفها فإذا لم تكف هذه الأموال فرضت على القادرين بقدر ما يسد عوز المحتاجين حتى تطيب نفوس الفقراء والمحتاجين وتزول أحقادهم على الأغنياء والقادرين، وقد أشار القرآن الكريم إلى ما في الزكاة من المعاني والحكم في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[7].

وجدير بالذكر أن الأمة المسلمة تعد كلها بمثابة الجسد الواحد، يحس إحساسا واحدا، وما يصيب عضو فيه يشتكي له سائر الأعضاء، يقول النبي ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد؛ إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[8]، ومن أجل ذلك وضعت الحدود وشرع القصاص في الجرائم التي تكون اعتداء على حق الله تعالى أو حق العباد أو الحقين معا، لأن التعاون والتكافل لا يقوم إلا على أساس صيانة حياة كل فرد في دار الإسلام وماله وحرماته[9].

3. **رابط العلاقات الأسرية:** الأسرة هي الوحدة التي تتكون منها المجتمعات الإسلامية، وقد أحاطها الله بتشريعات جعلتها تتضامن وتتماسك تماسكا وثيقا منذ نزلت تشريعات الإسلام على الرسول ﷺ إلى اليوم، ومن أول هذه التشريعات بر الوالدين وسبق أن أشرت إلى ذلك عند الحديث على التكافل بين الفرد وأسرته.

كذلك شرع الله للأولاد والبنات حقوقا على آبائهم وأمهاتهم، وأول ما شرع الله لهم من حقوق تحريم قتل الأولاد خشية الفقر ووأد البنات مخافة العار، وسجل الله عليهم ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾[10]، وقوله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم﴾[11]، وعن وأد البنات يقول ﷻ: ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ. بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾[12].

ومن حقوق الأبناء والبنات على آبائهم

(1) القرطبي، تفسير القرطبي 6/ 83.
(2) سورة التوبة، من الآية 105.
(3) مالك، الموطأ 2/ 745، حديث رقم 31.
(4) البخاري، الصحيح الجامع، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه 1/ 14.
(5) سورة آل عمران، الآية 104.
(6) سورة الحج، من الآية 41.
(7) سورة التوبة، من الآية 103.
(8) مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم 5/ 161.
(9) ينظر: أبو زيد، السلام في الإسلام، ص 73. والقرضاوي، شريعة الإسلام صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان، ص 28-29.
(10) سورة الأنعام، من الآية 151.
(11) سورة الإسراء، من الآية 31.
(12) سورة التكوير، الآيتان 8-9.

وأمهاتهم أن يحسنوا تربيتهم ويرشدوهم دائما إلى السلوك الفاضل وأن يعلموهم أحكام دينهم ويبينوا لهم الحلال ويحذروهم من الاقتراب من الحرام وأن ينفقوا عليهم من المال الحلال الطيب في مأكلهم ومشربهم وملبسهم وتعليمهم.

كذلك من أعظم الروابط الأسرية رابط الزواج الذي سماه الله في القرآن بالميثاق الغليظ، قال تعالى: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾[1]، هذا هو الدين الإسلامي الحنيف وتعاليمه السمحة النيرة، أما المرأة في الجاهلية فقد كانت أشبه بمتاع للرجل يملكه، وكانوا إذا مات الزوج ورثوا امرأته كرها؛ إذ يُلقي عليها الوارث لزوجها ثوبا له ويقول: ورثتها كما ورثت ماله، ويتصرف بها كما يريد، فإن شاء تزوجها بدون صداق، وإن شاء زوجها لغيره وأخذ صداقها، وإن شاء حرم عليها الزواج ليرث مالها بعد موتها، وكل ذلك حرمه الله بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَاء كَرْهًا وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾[2].

وقد صور القرآن الكريم العلاقة الزوجية في أحسن صورة حيث وصف ما بين الزوجين من الإخلاص والمحبة والأنس والسكن في آيات كثيرة؛ منها قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3].

والقرآن الكريم كما أوضح علاقة الابن بأبيه وحث الأبناء على بر الآباء، وصور العلاقة الزوجية في أجمل وأحسن صورة، حث كذلك على حسن علاقة الإنسان بأقاربه وجيرانه، قال تعالى: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾[4]، وقرن ﷻ الأمر بتقواه بصلة الرحم فقال: ﴿وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[5]، وندد بالذين يتسببون في قطع أرحامهم ووصفهم بالمفسدين وحكم عليهم باللعنة فقال: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾[6].

يقول الطاهر بن عاشور: «وفي الآية إشعار بأن الفساد في الأرض وقطيعة الأرحام من شعار أهل الكفر فهما جرمان كبيران يجب على المؤمنين اجتنابهما»[7]، وصلة الأقارب تكون بأي نوع من أنواع الصلات مادية أو روحية؛ كل على حسب طاقته، والصلة الروحية أو العاطفية في متناول الجميع وربما تكون أدعى إلى تحسين العلاقات من غيرها فتكون الصلات مثلا بتقديم العون والمساعدة، والهدايا والهبات وغير ذلك من النواحي المادية، وتكون بحسن الخلق وبسط القول والزيارة والكلمة الطيبة من النواحي العاطفية، والإسلام بهذا المنهج وذلك السلوك يهدف إلى الوحدة المتكاملة بين المجتمع الإسلامي بتقوية الأسرة وتوطيد العلاقة بين أهلها[8].

وحث القرآن كذلك على حسن معاملة الجار والإحسان إليه في سياق الأمر بعبادة الله والإحسان إلى الوالدين والأقارب قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُواْ اللهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ..﴾[9]، يقول الحافظ ابن كثير: «قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾ يعني: الذي بينك وبينه قرابة ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ الذي ليس بينك وبينه قرابة، وكذا روي عن عكرمة ومجاهد والضحاك وزيد بن أسلم ومقاتل بن حيان وقتادة»[10].

وقد وردت أحاديث كثيرة توصي بالجار وتدعو إلى حسن معاملته؛ منها قوله ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»[11].

هذا هو المنهج الرباني الذي رسمه القرآن الكريم وحث عليه النبي الأمين في علاقة المسلمين بعضهم مع بعض، وهذا هو التشريع الإسلامي العظيم، وقد رسم القواعد والأسس ما به يسمو المجتمع وتتوطد العلاقة بين أفراده

(1) سورة النساء، من الآية 21.
(2) سورة النساء، من الآية 19.
(3) سورة الروم، الآية 21.
(4) سورة الإسراء، من الآية 26.
(5) سورة النساء، الآية 1.
(6) سورة محمد، الآيتان 22-23.
(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير 26/ 113.
(8) هريدي، العلاقات الإنسانية في القرآن والسنة، ص 149-150.
(9) سورة النساء، الآية 36.
(10) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 4/ 33.
(11) البخاري، الصحيح الجامع، كتاب الأدب، باب الوصاية بالجار 5/ 2239. ومسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة 5/ 187.

وتقوى فيما بينهم روابط الأنس والمحبة ويرتقي سلوكهم في معارج الإخلاص والصفاء، فإذا سار المسلمون على هذا المنهج أصبحوا في عزة وقوة وألف ومحبة، وإذا تهاونوا في هذا المنهج الرباني دب النزاع والشقاق فيما بينهم وتغلب عليهم عدوهم وتداعت عليهم الأمم من أعدائهم، فندعو الله السلامة كما ندعوه أن يعز الإسلام وأن يجعلهم ممن يتمسكون بكتاب ربهم ويعملون بسنة نبيهم ﷺ ويقتدون بهديه ويسلكون طريقه إلى يوم الدين. اللهم آمين[1].

المطلب الثالث: نماذج من الحوار الدعوي بين بعض الأنبياء -عليهم السلام- وذويهم في ضوء القرآن الكريم

ساق القرآن الكريم نماذج متنوعة للمحاورات التي دارت بين بعض الأنبياء وذويهم مما يدل على رجاحة عقولهم وسمو أخلاقهم وطهارة قلوبهم وصدق إيمانهم واستقامة أخلاقهم، وشكرهم لخالقهم ﷻ على ما منحهم من نعم لا تحصى ولا تعد ولنأخذ من هذه النماذج نموذجين بارزين:

النموذج الأول: حوار بين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام

هذه صورة من صور المحاورات التي حكاها القرآن الكريم التي دارت بين العقلاء الأخيار فيما بينهم، ما قاله إبراهيم لابنه إسماعيل -عليهما السلام- وما رد به هذا الابن البار الوفي، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ. فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ. وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ. قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ. وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[2].

كانت سن إسماعيل في ذلك الوقت ثلاث عشرة سنة، ومعنى الآيات: فلما بلغ الغلام مع أبيه هذه السن، قال الأب لابنه: يا بني إني رأيت في منامي أنى أذبحك، فانظر ماذا ترى في شأن نفسك؟ يقول صاحب الروح والريحان: «فإن قلت لم شاوره في أمر قد علم أنه حتم من الله تعالى، وما الحكمة في ذلك؟ قلت: لم يشاوره ليرجع إلى رأيه، وإنما شاوره ليعلم ما عنده، فيما نزل به من بلاء الله تعالى، وليعلم صبره على أمر الله، وعزيمته على طاعته، ويثبت قدمه، ويصبره إن جزع ويراجع نفسه ويوطنها ويلقى البلاء وهو كالمستأنس ويكتسب المثوبة بالانقياد لأمر الله تعالى قبل نزوله وتكون سنة في المشاورة فقد قيل: لو شاور آدم الملائكة في أكله من الشجرة لما فرط منه ذلك»[3].

ورؤيا الأنبياء وحي كالوحي في اليقظة[4]، وفي رواية أنه رأى ذلك في ليلة التروية فأخذ يفكر في أمره، فسميت بذلك، فلما رأى ما رآه سابقا عرف أن هذه الرؤيا من الله فسمى بيوم عرفة، ثم رأى مثل ذلك في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمى بيوم النحر، ولعل السر في كونه مناما لا يقظة، أن تكون المبادرة إلى الامتثال أدل على كمال الانقياد والإخلاص[5].

وقوله: ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ حكاية لما رد به إسماعيل على أبيه إبراهيم -عليهما السلام- وهو رد يدل على علو كعبه في الثبات وفي احتمال البلاء، وفي الاستسلام لقضاء الله تعالى.. وفي هذا الرد ما فيه من سمو الأدب حيث قدم مشيئة الله تعالى ونسب الفضل إليه واستعان به ﷻ في أن يجعله من الصابرين على البلاء، وهكذا الأنبياء -عليهم السلام- يلهمهم الله تعالى في جميع مراحل حياتهم ما يجعلهم في أعلى درجات السمو النفسي واليقين القلبي والكمال الخلقي[6].

النموذج الثاني: حوار بين نبي الله موسى وبين الخضر عليهما السلام[7]

(1) يراجع: حسين، منهج القرآن الكريم في الدعوة إلى التعايش بين المسلمين وغيرهم، ص 39-55.
(2) سورة الصافات، الآيات 102-107.

(3) الهرري، تفسير حدائق الروح والريحان 24/ 234.
(4) يدل على ذلك ما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه عن عبيد بن عمير أن رسول الله ﷺ قال: رؤيا الأنبياء وحي، ثم قرأ: ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾. يراجع: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الوضوء، باب التخفيف في الوضوء.
(5) الألوسي، روح المعاني 23/ 129.
(6) طنطاوي، مختارات من أدب الحوار في الإسلام، ص113-114.
(7) حقيقة الخضر: هو نبي من أنبياء الله تعالى، والصحيح أنه مات كغيره من البشر لظاهر العموم في قوله تعالى: ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد﴾ سورة الأنبياء الآية (34) ولما ثبت عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات ليلة صلاة العشاء فلما سلم قام

من صور المحاورات التي قصها علينا القرآن الكريم، والتي تمت بين العقلاء الأخيار فيما بينهم: تلك المحاورات التي دارت بين موسى عليه السلام وبين الرجل الصالح الذي آتاه الله تعالى علما من لدنه وهو الخضر عليه السلام وقد قص علينا القرآن ما دار بينهما في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ على أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا. قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا. وَكَيْفَ تَصْبِرُ على مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا. قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ الله صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا. قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا. فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا. قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا. قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا. فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا. قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا. قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا. فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عليهِ أَجْرًا. قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عليهِ صَبْرًا. أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا. وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا. فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا. وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عليهِ صَبْرًا﴾[1]. قال موسى للخضر -عليهما السلام- بعد أن التقيا: هل أتبعك؟ أي: هل تأذن لي في مصاحبتك واتباعك؟ بشرط أن تعلمني من العلم الذي علمك الله إياه شيئا أسترشد به في حياتي وأصيب به الخير في ديني، فأنت ترى أن موسى عليه السلام قد راعي في مخاطبته للخضر أسمى ألوان الأدب اللائق بالأنبياء -عليهم السلام- حيث خاطبه بصيغة الاستفهام الدالة على التلطف، حيث أنزل نفسه منه منزلة المتعلم من المعلم، وحيث استأذنه في أن يكون تابعا له، ليتعلم منه الرشد والخير.

قال بعض العلماء: «في هذه الآية دليل على أن المتعلم تبع للعالم، وإن تفاوتت المراتب، ولا يظن أن في تعلم موسى من الخضر ما يدل على أن الخضر كان أفضل من موسى فقد يأخذ الفاضل عن الفاضل وقد يأخذ الفاضل عن المفضول إذ اختص الله تعالى أحدهما بعلم لا يعلمه الآخر، فقد كان علم موسى عليه السلام يتعلق بالأحكام الشرعية والقضاء بظاهرها، وكان علم الخضر -رحمه الله- يتعلق ببعض الغيب ومعرفة البواطن»[2].

ثم قص الله تعالى ما رد به الخضر على موسى فقال: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ أي: إنك يا موسى إذا اتبعتني ورافقتني فلن تستطيع معي صبرا بأي وجه من الوجوه قال الحافظ ابن كثير: أي قال الخضر لموسى: إني على علم من علم

فقال: «أرأيتكم ليلتكم هذه فإنه على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد» قال ابن عمر: فوهل الناس في مقالة رسول الله ﷺ تلك فيما يتحدثون من الأحاديث عن مائة سنة وإنما قال رسول الله ﷺ: «لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد يريد بذلك أن ينخرم ذلك القرن». الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم باب السمر في العلم.

قال الإمام النووي -رحمه الله- في شرح مسلم: كُنْيَة الْخَضِر أَبُو الْعَبَّاس، وَاسْمه (بَلْيَا).. وَاخْتَلَفُوا فِي لَقَبه الْخَضِر، فَقَالَ الأَكْثَرُونَ: لأَنَّهُ جَلَسَ عَلَى فَرْوَة بَيْضَاء، فَصَارَتْ خَضْرَاء، وَالْفَرْوَة وَجْه الأَرْض، فَقَدْ صَحَّ فِي الْبُخَارِيّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا سُمِّيَ الْخَضِر لأَنَّهُ جَلَسَ عَلَى فَرْوَة فَإِذَا هِيَ تَهْتَزُّ مِنْ خَلْفه خَضْرَاء». الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، ويراجع ما سبق في: النووي، شرح صحيح مسلم 15/ 136.

والجمهور من العلماء على أنه نبي لما ورد في الآيات من أن حجته فيما فعل من خرق السفينة، وقتل الغلام وبناء الجدار إنما كان استنادا إلى الوحي، وهو وسيلة الأنبياء وحدهم فيما قام به الخضر.

قال الإمام النووي -رحمه الله- في شرح مسلم: قَالَ الْمَازِرِيّ: اِخْتَلَفَ الْعُلَمَاء فِي الْخَضِر هَلْ هُوَ نَبِيّ أَوْ وَلِيّ؟ قَالَ: وَاحْتَجَّ مَنْ قَالَ بِنُبُوَّتِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا فَعَلْته عَنْ أَمْرِي﴾ فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ نَبِيّ أُوحِيَ إِلَيْهِ، وَبِأَنَّهُ أَعْلَم مِنْ مُوسَى، وَيَبْعُد أَنْ يَكُون وَلِيّ أَعْلَم مِنْ نَبِيٍّ، وَأَجَابَ الآخَرُونَ: بِأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَوْحَى اللَّه إِلَى نَبِيٍّ فِي ذَلِكَ الْعَصْر أَنْ يَأْمُرَ الْخَضِرَ بِذَلِكَ. ينظر: النووي، شرح صحيح مسلم 15/ 136.

وخالف في ذلك بعض العلماء من المحدثين وغيرهم، وقالوا: بل هو وليٌّ. وسواء كان الخضر نبيا أو وليا فهو عبد صالح من عباد الله تعالى، وكرامة الله تعالى له ثابتة بنص كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ.

(1) سورة الكهف، الآيات 66-82.

(2) صديق خان، فتح البيان في مقاصد القرآن 5/ 477.

الله علمنيه لا تعلمه أنت وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه[1]، وقوله: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ تعليل لعدم استطاعة الصبر معه أي: وكيف تصبر يا موسى على أمور ستراها مني، هذه الأمور ظاهرها أنها منكرات لا يصح السكوت عليها، وباطنها لا تعلمه لأن الله لم يطلعك عليه؟ فالخبر بمعني العلم، يقال: خبر فلان الأمر يخبره أي علمه والاسم الخبر وهو العلم بالشيء ومنه الخبير أي العالم، وكأن الخضر يريد بهذه الجملة الكريمة أن يقول لموسى: إني واثق من أنك لن تستطيع معي صبرا، لأن ما أفعله سيصطدم بالأحكام الظاهرة وبالمنطق العقلي، وبغيرتك المعهودة فيك وأنا مكلف أن أفعل ما أفعل، لأن المصلحة الباطنة في ذلك وهي تخفي عليك، ولكن موسى ﷺ الحريص على تعلم العلم النافع يصر على مصاحبة الرجل الصالح، فيقول له في لطف وأدب مع تقديم مشيئة الله تعالى: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ أي: سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا معك غير معترض عليك ولا أعصي لك أمرا من الأمور التي تكلفني بها، وقدم موسى ﷺ المشيئة أدبا مع خالقه ﷻ واستعان به ﷻ على الصبر وعدم المخالفة.

وهنا يحكي القرآن الكريم أن الخضر قد أكد ما سبق أن قاله لموسى وبين له شروطه إذا أراد مصاحبته فقال: ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾، ثم تحكي السورة بعد ذلك ثلاثة أحداث فعلها الخضر ولكن موسى لم يصبر عليها، بل اعترض وناقش، أما الحادث الأول فقد بينه ﷻ بقوله: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾ وهذا بيان لما فعله الخضر بالسفينة، أخرج الشيخان عن ابن عباس: أنهما انطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت بهما سفينة فكلموهم أن يحملوهما، فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نول: أي أجر[2]، وهنا ما كان من موسى إلا قال له على سبيل الاستنكار والتعجب مما فعله: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ أي: أفعلت ما فعلت لتكون عاقبة الراكبين فيها الغرق والموت بهذه الصورة المؤلمة؟ ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ أي: لقد جئت شيئا عظيما، حيث عرضت ركاب السفينة لخطر الغرق، وهنا أجابه الخضر بقوله: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ أي: ألم أقل لك سابقا إنك لن تستطيع مصاحبتي ولا قدرة لك على السكوت على تصرفاتي التي لا تعرف الحكمة من ورائها؟

ولكن موسى ﷺ رد معتذرا لما فرط منه وقال: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي﴾ أيها العبد الصالح بما نسيت أي بسبب نسياني لوصيتك في ترك السؤال والاعتراض حتى يكون لي منك البيان ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ أي: ولا تكلفني من أمري مشقة في صحبتي إياك وكأن موسى ﷺ الذي اعتزم الصبر وقدم المشيئة ورضي بشروط الخضر في المصاحبة، كأنه قد نسي كل ذلك أمام المشاهدة العلمية وأمام التصرف الغريب الذي صدر من الخضر دون أن يعرف له سببا، وهكذا الطبيعة البشرية تلتقي في أنها تجد للتجربة العملية وقعا وطعما يختلف عن الواقع والطعم الذي تجده عند التصور النظري، فموسى ﷺ وعد الخضر بأنه سيصبر، إلا أنه بعد أن شاهد ما لا يرضيه اندفع مستنكرا.

أما الحادث الثاني الذي لم يستطع موسى أن يقف أمامه صامتا فقد حكاه القرآن في قوله: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ﴾ وهنا لم يستطع موسى ﷺ أن يصبر على ما رأى أو أن يكظم غيظه، فقال باستنكار وغضب: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ أي: طاهرة بريئة من الذنوب ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أي: بغير أن ترتكب ما يوجب قتلها لأنها لم تقتل غيرها حتى تقتص منها، أي إن قتلك هذا الغلام كان بغير حق ﴿لَّقَدْ جِئْتَ﴾ أيها الرجل ﴿شَيْئًا نُّكْرًا﴾ أي: منكرا عظيما، يقال: نكر الأمر أي: صعب واشتد، والمقصود: لقد جئت شيئا أشد من الأول في فظاعته واستنكار العقول له[3]. قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ تأكيد في التذكار بالشرط الأول ﴿لَّكَ﴾ هو كما قال الزمخشري زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية، والوسم بقلة الصبر عند الكرة الثانية[4].

ويراجع موسى نفسه فيجد أنه قد خالف ما

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 9/ 164.
(2) البخاري، الصحيح الجامع، كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل «أي الناس أعلم؟» فيكل العلم لله 1/ 56.
(3) طنطاوي، مختارات من أدب الحوار في الإسلام، ص 118-119.
(4) الزمخشري، الكشاف 3/ 601.

اتفق عليه مع الرجل الصالح مرتين فيبادر بإخبار صاحبه أن يترك له فرصة أخيرة فيقول: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾ أي: بعد هذه المرة الثانية ﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ أي: فلا تجعلني صاحبا أو رفيقا لك فإنك ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ أي: فإنك قد بلغت الغاية التي تكون معذورا بعدها في فراقي لأني أكون قد خالفتك مرارا وهذا الكلام من موسى ﷺ يدلك على اعتذاره الشديد للخضر وعلى شدة ندمه على ما فرط منه، وعلى الاعتراف له بخطئه، ثم تسوق لنا السورة الكريمة الحادث الثالث والأخير في تلك القصة الزاخرة بالمفاجآت فتقول: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا﴾ وعبر هنا بالقرية دون المدينة لأنه أدل على الذم من وصفها ليبين أن لها مدخلا في لؤم أهلها بقوله: ﴿اسْتَطْعَمَا﴾ وأظهر ولم يضمر في قوله: ﴿أَهْلَهَا﴾ لأن الاستطعام لبعض من أتوه أوكل من الإتيان[1]، والاستطعام سؤال الطعام، والمراد به هنا سؤال الضيافة لأنه هو المناسب لمقام موسى والخضر -عليهما السلام- ولأن قوله تعالى بعد ذلك: ﴿فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ يشهد له، فأبي وامتنع أهل القرية عن قبول ضيافتهما بخلاً منهم وشحا.

قوله: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾، ينقض أي يسقط، وهذا من مجاز الكلام لأن الجدار لا إرادة له، وإنما معناه قرب ودنا من السقوط كما تقول: داري تنظر إلى دار فلان إذا كانت تقابلها فاستعير لها النظر كما استعير للجدار الإرادة[2]، وقد أقام الخضر الجدار بأن سواه وأعاد إليه اعتداله، أو بأن نقضه وأخذ في بنائه من جديد وهنا لم يتمالك موسى ﷺ مشاعره لأنه وجد نفسه أمام حالة متناقضة: قوم بخلاء أشحاء لا يستحقون العون، ورجل يتعب نفسه في إقامة حائط مائل لهم، هلا طلب منهم أجرا على هذا العمل الشاق خصوصا وهما جائعان لا يجدان مأوى لهما في تلك القرية! لذا بادر موسى ﷺ ليقول للخضر: ﴿لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ أي: هلا طلبت أجرا من هؤلاء البخلاء على هذا العمل، حتى تنتفع به، وأنت تعلم أننا جائعان وهم لم يقدموا لنا حق الضيافة، فالجملة الكريمة تحريض من موسى للخضر على أخذ الأجر على عمله، ولوم له على ترك هذا الأجر مع أنهما في أشد الحاجة إليه، وهذا التحريض من موسى للخضر -عليهما السلام- هو نهاية المصاحبة بينهما ولذا قال الخضر لموسى: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ أي: هذا الذي قلته لي يجعلنا نفترق، لأنك قد قلت لي قبل ذلك: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ وها أنت تسألني وتحرضني على أخذ الأجر، ومع ذلك فانتظر سأنبئك قبل مفارقتي لك بتأويل -أي بتفسير وبيان- ما خفي عليك من الأمور الثلاثة التي لم تستطع عليها صبرا، لأنك لم يكن عندك ما عندي من العلم بأسرارها الباطنة التي أطلعني الله تعالى عليها[3].

أما السفينة التي خرقتها فهي لضعفاء محتاجين يعملون بها في البحر لتحصيل رزقهم فأردت أن أحدث بها عيبا يزهد فيها، لأن خلفهم ملك يغتصب كل سفينة صالحة، وأما الغلام الذي قتلته فكان أبواه مؤمنين فعلمنا -إن عاش- سيصير سببا لكفرهما، فأردنا بقتله أن يعوضهما الله عنه ولدا خيرا منه دينا وأعظم برا وعطفا، وأما الجدار الذي أقمته -دون أجر- فكان لغلامين يتيمين من أهل المدينة وكان تحته كنز تركه أبوهما لهما، وكان رجلا صالحا، فأراد الله أن يحفظ لهما الكنز حتى يبلغا رشدهما ويستخرجاه رحمة بهما وتكريما لأبيهما في ذريته وما فعلت ما فعلت باجتهادي إنما فعلت بتوجيه من الله، وهذا تفسير ما خفي عليك يا موسى ولم تستطع الصبر عليه.

وقفة لا بد منها:

اشتملت القصة على معان جليلة وفوائد عظيمة وآداب إنسانية وأخلاق عالية؛ من ذلك ما يلي:

- من المعاني الجليلة أن عالم الغيب هو الله الذي اختص به ﷻ يعلمه من يشاء، وأن طاقة الإنسان الفكرية لا تكون إلا في ظواهر الأعمال، والنتائج التي تكون ثمرة الأسباب الظاهرة، فعلينا أن نسير فيها على مقتضاها، ونبني أعمالنا عليها، ولكن مع ذلك نفرض أن الأسباب لا تنتج بذاتها، إنما تنتج بإرادة الله تعالى وبمقتضى علمه المكنون الذي أحاط بكل شيء علما، ولذا أمرنا بعد اتخاذ الأسباب أن نتوكل على الله تعالى، مفوضين الأمور

(1) البقاعي، نظم الدرر 12/ 113-114.

(2) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل 3/ 207.

(3) طنطاوي، مختارات من أدب الحوار في الإسلام ص 121.

إليه، ولذا يقول الله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾(1). وإن ما يجريه الله تعالى معنا ربما لا يتفق معَ ما نرغب، ولكن قد يكون ما غيبه الله تعالى خيرا لنا، كما رأينا في خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار فإنه في هذه الأمور كان خرق السفينة -الذي هو عمل الله تعالى- سخر له عبدا صالحا من عباده خفي أمره على الناس.

- ومن الفوائد التي اشتملت عليها الآيات أن رحمة الله تعالى تعم دائما ولا تخص، فقد قدر ﷻ أن السفينة كانت لمساكين يعملون في البحر، فقرر أن تخرق لتكون معيبة، فلا يأخذها الذي يأخذ كل سفينة غصبا، وهذا من رحمة الله تعالى بالمساكين الذين يعملون في البحر صائدين أو ناقلين لما ينفع الناس، وإن قدر الله تعالى يجري على بقاء الصالح وفناء غير الصالح، ولذا قتل الخضر الغلام الذي خشي أن يرهق أبويه الصالحين طغيانا ويبدلهما خيرا منه زكاة وأقرب رحمًا.

- يقول الشيخ محمد أبو زهرة: وفي القصة من الآداب الإنسانية والأخلاق العالية في القصة أنه يجب على الإنسان أن يطلب العلم، وأن يبذل الجهد في طلبه غير مدخر في ذلك جهدا؛ فهذا موسى عليه السلام يسير في طلب العلم حتى يلقى النصب، وفي القصة أيضا ما يجب من ألا يجعل الاستغراب أساسا للحكم على الأشياء فقد يكون الأمر المستغرب أصدق الأمور، وأقربها إلى الحق وأحسنها مآلا، كما رأينا في السفينة وفي الجدار، فلا يرد الأمر لأنه غريب، ولكن يرد لضرره، أو لأن مآله ضر، وفيها أيضا من تضامن طالب العلم لمن يعلمه، كما رأينا في تضامن موسى عليه السلام للعبد الصالح، وإن السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار لوحظ فيها احتمال الضررين بدفع أخفهما، وقد لوحظ ذلك في السفينة وقتل الغلام فقد خرقت السفينة لمصلحة العاملين في البحر، ودفع الاغتصاب، وكذلك قتل الغلام لنفع أشمل، وإقامة الجدار فيه نفع كثير يحتمل ضرر قليل، وذلك أصل مقرر في الشرع يؤخذ به إذا لم يكن نص(2).

- ومن الأحكام والآداب في القصة أن التأني في الحكم على الأمور من مناقب الفضلاء، كما يؤخذ منها أن العقلاء الأخيار يلتزمون الأدب الرفيع، والمنهج الرشيد والمنطق السديد في محاوراتهم فيما بينهم، وهذا ما نراه واضحا جليا في تلك المحاورات التي دارت بين موسى والخضر، ولعل الذين يناقشون أو يحاورون غيرهم في مسألة ما يلتزمون هذا المنهج الحكيم.

المبحث الثاني: حوار غير المسلمين في ضوء القرآن الكريم

الاختلاف سنة من سنن الله في الحياة، وسر من أسرار الوجود العظمى، وهو بجميع درجاته -بدءا من التناقض والتضاد إلى التشابه والتماثل- ضرورة حياتية لا يمكن أن يتصور وجود بدونها، والمتأمل في النصوص القرآنية لا يسعه إلا أن يدرك أن الاختلاف نتيجة طبيعية لحرية الاختيار التي منحها الله ﷻ لكل إنسان وجعلها مرتكزا للابتلاء في الحياة الدنيا، وقد عد الله ﷻ الاختلاف آية من آياته التي يهتدى بها إليه فقال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾(3)، وجعله في آية أخرى غاية من غايات الخلق فقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾(4)، والمراد بالاختلاف هنا: الاختلاف في الدين وليس في الألوان والأذواق واللغات ونحوها.

والإسلام بوجه عام ينظر إلى غير المسلمين -وخاصة أهل الكتاب- نظرة تكامل وتعاون وبالأخص في المصالح المشتركة المبنية على قاعدة القيم والأخلاق التي دعت إليها كل الأديان وحظيت بالقبول والرضا من كل البشر، والإسلام وضع قواعد واضحة للعائلة البشرية وأعلن في صورة واضحة لا تحتمل اللبس أو التأمل أن الناس خلقوا جميعا من نفس واحدة بما يؤكد وحدة الأصل الإنساني، وإن أساس النظرة المتسامحة التي تسود المسلمين في معاملة مخالفيهم في الدين ترجع إلى الأفكار والحقائق التي غرسها الإسلام في عقول المسلمين وقلوبهم، ومنها أن الأصل وحدة بني البشر وتكريم الإنسان، وأن الاختلاف في الدين أمر قدري والمسلم غير

(1) سورة آل عمران، الآية 159.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير 9/ 4573.
(3) سورة الروم، الآية 23.
(4) سورة هود، الآيتان 118-119.

مكلف بمحاسبة غيره من المخالفين له فضلا عن إكراهه وجبره لمخالفة دينه، وسوف أتحدث في هذا المبحث -إن شاء الله تعالى- عن مطلبين في غاية الأهمية: أحدهما: الأصول الشرعية في الحوار مع أهل الكتاب. والثاني: المنهج الشرعي للحوار بين الأديان. فأقول وبالله التوفيق:

المطلب الأول: الأصول الشرعية في الحوار مع أهل الكتاب وغيرهم

تمهيد:

قام الأنبياء عليهم السلام بالحوار بين الأديان بمعناه الأصولي الشرعي، وذلك من خلال حواراتهم الكثيرة مع أقوامهم بطرق مختلفة وأساليب متعددة، والمسلمون أقوى الناس حجة وبيانا لأن دينهم دين رباني موافق لعقل الإنسان وفطرته قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾(1)، وقد قص الله علينا في قصص الرسل -عليهم السلام- مع أقوامهم ودعوتهم وحواراتهم ما يعد تطبيقا عمليا ومنهجا يقتدى به في الحوار مع الآخر.

فهذا نوح عليه السلام يدعو قومه ليلا ونهارا ويحاورهم ويجادلهم ألف سنة إلا خمسين عاما كما قص القرآن علينا في أكثر من موضع وقد بذل قصارى جهده ليدخلهم في التوحيد ويزيل ما علق في أذهانهم من شرك وانحراف كما قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا. فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا. وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا. ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا. ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾(2).

وهذا الخليل إبراهيم أبو الأنبياء عليه السلام في مناظرته الكبرى مع النمرود لتقرير التوحيد والدفاع عن جنابه برد الشبهات التي يلقيها المشركون كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(3).

وهذا حوار بين نبي الله هود عليه السلام وقومه الذين كانوا يعبدون الأصنام وكانوا معروفين بالغنى والقوة في الجسم، لقد أمرهم بعبادة الله وحده، ونبذ عبادة الأصنام فماذا أجابوه؟ قال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾(4)، وقد قابل هذا الرد القبيح بالمنطق الحكيم وبالدفاع عن نفسه بأسلوب يقوم على الحجة والبرهان فقال كما قص القرآن: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ. أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(5)، ولكن الطغاة من قومه عموا وصموا عن هذه النصائح وقالوا له بغرور وطغيان: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾(6)، ثم يختم حواره معهم ورده عليهم بتحذيرهم من سوء عاقبة غرورهم وإصرارهم على كفرهم، فبين لهم أن هذا الإصرار سيؤدي إلى هلاكهم وإلى مجيء قوم آخرين سيخلفونهم، ولن يتغير هذا الكون بسبب هلاكهم فهم أحقر من أن يغيروا سنة من سنن الله في خلقه. قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ. مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ. إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾(7)، والمتأمل في المحاورات بين هود عليه السلام وبين قومه يراها زاخرة بالحجج الباهرة، وبالجرأة النادرة، وبالنصائح البليغة وبالوضوح والصراحة من جانب هود عليه السلام وهو يجابه قومه بما هم عليه من قوة وغرور وبسطة في الرزق(8).

وبعد إلقاء الضوء على بعض محاورات الأنبياء مع أقوامهم باختصار، وأنها أصل في الحوار مع الآخر، أعود إلى الحديث عن الأصول الشرعية في

(1) سورة الملك، الآية 14.
(2) سورة نوح، الآيات 5-9.
(3) سورة البقرة، الآية 258.
(4) سورة الأعراف، الآية 66.
(5) سورة الأعراف، الآيات 67-69.
(6) سورة الأعراف، الآية 70.
(7) سورة هود، الآيات 54-57.
(8) طنطاوي، مختارات من أدب الحوار في الإسلام، ص 84-85 بتصرف واختصار.

الحوار مع أهل الكتاب، فأقول وبالله التوفيق:
حفل القرآن الكريم بالآيات التي تبين كيفية الحوار مع غير المسلمين وخاصة أهل الكتاب ومن أبرز الآيات في ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ..﴾(1). قال الإمام البغوي: قال المفسرون: قدم وفد نجران المدينة فالتقوا مع اليهود فاختصموا في إبراهيم عليه السلام فزعمت النصارى أنه كان نصرانيا وهم على دينه وأولى الناس به، وقالت اليهود: بل كان يهوديا وهم على دينه وأولى الناس به، فقال رسول الله ﷺ: كلا الفريقين بريء من إبراهيم ودينه بل كان إبراهيم حنيفا مسلما وأنا على دينه فاتبعوا دينه دين الإسلام، فقالت اليهود: يا محمد ما تريد إلا أن نتخذك ربا كما اتخذت النصارى عيسى ربا، وقالت النصارى: يا محمد ما تريد إلا أن نقول فيك ما قالت اليهود في عزير، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ﴾(2)، وقد عد العلماء هذه الآية أصلا في الحوار المعتدل الذي يهدف للوصول للحق والصواب.

أما عن الأصول الشرعية في الحوار مع أهل الكتاب وغيرهم، فهي تشتمل على ما يأتي:

أ - الدعوة إلى الله وبيان الحق ورد الباطل بالأدلة الصحيحة: قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾(3)، وقال ﷻ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(4)، وقال ﷻ: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(5).

ويعد هذا الأصل الشرعي مستقى من منهج الرسل -عليهم السلام- في دعوتهم لأقوامهم حيث كان أقوامهم على أديان مختلفة ومتباينة يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾(6)، وكان كل نبي يقول لقومه كما قص القرآن في كثير من آياته: ﴿اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾(7)، ومن خلال تتبع الآيات والأحاديث المبينة لحوار الأنبياء والرسل مع أقوامهم، نجد أنها دعوة وبيان للحق وكشف للباطل، وقد ساوم الكفار الرسول ﷺ أكثر من مرة لغرض اتباع عقيدتهم وترك عبادة الله تعالى، ولكن كلما عرضوا ذلك تمسك بدينه أكثر. وقد جاء في كتب السنة ما يثبت هذه المساومات؛ من ذلك ما أخرجه ابن أبى حاتم في تفسيره عَنْ سَعِيدِ بن مِينَا مَوْلَى أَبِي الْبَخْتَرِي، قَالَ: «لَقِيَ الْوَلِيدُ بن الْمُغِيرَةِ، وَالْعَاصِي بن وَائِلٍ، وَالأَسْوَدُ بن الْمُطَّلِبِ، وَأُمَيَّةُ بن خَلَفٍ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، فَلْتَعْبُدْ مَا نَعْبُدُ، وَنَعْبُدُ مَا تَعْبُدُ، وَلْنَشْتَرِكَ نَحْنُ وَأَنْتَ فِي أَمْرِنَا كُلِّهِ، فَإِنْ كَانَ نَحْنُ الَّذِي عليه أَصَحَّ مِنَ الَّذِي أَنْتَ عليه، كُنْتَ قَدْ أَخَذْتَ مِنْهُ حَظًّا، وَإِنْ كَانَ الَّذِي أَنْتَ عليه أَصَحَّ مِنَ الَّذِي نَحْنُ عليه، كُنَّا قَدْ أَخَذْنَا مِنْهُ حَظًّا، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ حَتَّى انْقَضَتِ السُّورَةُ»(8)، يقول الحافظ ابن كثير: إنهم من جهلهم دعوا رسول الله ﷺ إلى عبادة أوثانهم سنة، ويعبدون معبوده سنة، فأنزل الله هذه السورة وأمر رسوله ﷺ فيها أن يتبرأ من دينهم بالكلية فقال: ﴿لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ يعني من الأصنام والأنداد ﴿وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ وهو الله وحده لا شريك له(9)، إذاً ليس في المنهج الرباني تحاور مع الأديان بمعنى التقارب فضلاً عن الوحدة، بل هو دعوة ومجادلة وبيان للحق.

ب - الإيمان بأصل وحدة الأديان السماوية التي أنزلها الله تعالى: من الأصول الشرعية الثابتة في الحوار في الإسلام التي نص عليها القرآن الكريم في أكثر من آية الإيمان بأصل وحدة الأديان السماوية التي أنزلها الله تعالى، والله تعالى كلف الأنبياء -عليهم السلام- بتبليغ الرسالة والدعوة إلى الله قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيكَ الْمَصِيرُ﴾(10)، وهذا أصل من أصول الإيمان أن يؤمن المرء بجميع الأنبياء، ومما لا شك فيه أن هذا الإيمان يشكل أساسا ثابتا وقويا لتعامله مع الآخرين من أهل الكتاب، يقول ﷻ:

(1) سورة آل عمران، الآية 64.
(2) البغوي، معالم التنزيل 2/ 48.
(3) سورة فصلت، الآية 33.
(4) سورة يوسف، الآية 18.
(5) سورة آل عمران، الآية 14.
(6) سورة النحل، الآية 36.
(7) سورة الأعراف، الآيات 59، 65، 73، 85. وسورة هود، الآيات 50، 61، 84.
(8) ابن أبى حاتم، تفسير القرآن العظيم 10/ 347.
(9) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 14/ 486.
(10) سورة البقرة، الآية 285.

﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾[1]، فالإيمان بالله وما أنزل من كتب والإيمان برسالات الأنبياء السابقين في صورتها الحقيقية البعيدة عن التحريف والتغيير يشكل نقطة الانطلاق لدى المسلم في نظرته للآخر غير المسلم من أهل الكتاب وغيرهم والتحاور معهم، ومن يحاور أتباع الأديان السماوية يجب أن يضع هذا الأصل نصب عينيه، ومن الآيات التي تبين ذلك جليا قوله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾[2]، وهذا الأصل هو الذي يضبط أسلوب الحوار من مبدئه إلى منتهاه وبذلك تتحدد علاقة المسلم بغيره سواء كان من أهل الكتاب أو من غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى.

المطلب الثاني: المنهج الشرعي للحوار بين الأديان

وضع الشرع الحكيم منهجا للحوار بين الأديان اعتمد على اختيار الموضوع المناسب للحوار سواء عن طريق الدعوة إلى التوحيد وإبطال الشرك، أو الدعوة إلى الإيمان برسالة محمد ﷺ والتزام دينه، أو الدعوة إلى ترك الغلو والقول على الله بغير الحق، أو الدعوة للإيمان بالقرآن الكريم، كما اعتمد هذا المنهج على اختيار الأسلوب المناسب للحوار سواء كان الأسلوب المباشر في الدعوة أو أسلوب التذكير أو أسلوب الترغيب والترهيب أو أسلوب الإنكار، ويمكن بيان هذا المنهج الشرعي من خلال زاويتين رئيسيتين بيانهما كالتالي:

الزاوية الأولى: موضوع الحوار

ركّز الشارع الحوار مع أهل الأديان عامة، وأهل الكتاب خاصة، من الناحية الموضوعية في القضايا الحساسة التي تعد مفاصل مهمة، ومفارق خطيرة بين المسلمين وبينهم، ويمكن اختصارها على النحو التالي:

أ - الدعوة إلى التوحيد وإبطال الشرك: يبين ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[3]، وقد بين مدلول الحوار في هذه الآية رسول الله ﷺ في خطابه المرسل إلى هرقل، وهو يتضمن الدعوة إلى الإسلام لا التقريب بين دينهم ودين الإسلام، يقول ﷺ في خطابه: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ أي: إنه إذا لم يسلم يتحمل إثم الفلاحين الذين يحكمهم[4].

والآية السابقة هي ما يسمى بلغة العصر «ميثاق الوفاق» ويتضح في الآية بجلاء تحديد موضوع الحوار، وهو إفراد الله تعالى بالعبادة وترك الشرك، ولهذا فسَّر الصحابة ومن بعدهم (الكلمة السواء) في الآية بـ (لا إله إلا الله)[5].

وكذلك كتب الرسول إلى أهل الأمصار تتضمن الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك وهذا هو هدف بعثة الرسل الكرام[6].

ب - الدعوة إلى الإيمان برسالة محمد ﷺ والتزام دينه: يقول تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[7]، يقول الحافظ ابن كثير عقب تفسيره لهذه الآية: والمقصود أن الله تعالى بعث محمدًا ﷺ على فترة من الرسل، وطُمُوس من السبل، وتَغَير الأديان، وكثرة عبادة الأوثان والنيران والصلبان، فكانت النعمة به أتم النعم، والحاجة إليه أمر عَمَم، فإن الفساد كان

(1) سورة آل عمران، الآية 84.

(2) سورة الشورى، الآية 13.

(3) سورة آل عمران، الآية 64.

(4) الحلبي، السيرة الحلبية 3/ 275.

(5) الطبري، تفسير الطبري 6/ 488.

(6) يمكن مراجعة ذلك في: حسين، منهج القرآن الكريم في الدعوة إلى التعايش بين المسلمين وغيرهم، ص 33-34.

(7) سورة المائدة، الآية 19.

قد عم جميع البلاد، والطغيان والجهل قد ظهر في سائر العباد، إلا قليلا من المتمسكين ببقايا من دين الأنبياء الأقدمين، من بعض أحبار اليهود وعباد النصارى والصابئين[1].

ج - الدعوة إلى ترك الغلو والقول على الله بغير الحق في شأن الألوهية وعيسى عليه السلام وأمه: يقول تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً﴾[2]، يقول الشيخ محمد أبو زهرة: نهي في هذا النص الكريم عن الغلو في الدين، والغلو هو تجاوز الحد سلبا أو إيجابا، وقد تجاوز اليهود الحد في عيسي عليه السلام فأنكروا رسالته -لعنة الله عليهم- واتهموا أمه البتول، وغالى فيه النصارى حتى أخرجوه من مرتبة البشرية مع أن البشرية واضحة فيه وفي ولادته وفي حياته وفي كونه لحما ودما يحيى ويموت، ويأكل ويشرب كما يأكل سائر البشر[3].

د - الدعوة للإيمان بالقرآن الكريم: يعد القرآن الكريم كتاب الله الخالد وهو الكتاب المهيمن على ما سبقه من الكتب وقد وجه الله تعالى خطابا لأهل الكتاب يأمرهم بالإيمان بالقرآن الكريم وما فيه وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً﴾[4]، وسبب نزولها أن النبي ﷺ دعا قوما من أحبار اليهود منهم عبد الله بن صوريا وكعب بن أسد إلى الإسلام وقال لهم: إنكم لتعلمون أن الذي جئت به حق فقالوا: ما نعرف ذلك فنزلت هذه الآية[5].

يقول أبو بكر الجزائري عند تعرضه لتفسير الآية: يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى أَهْلَ الكِتَابِ، مِنَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، بِالإِيمَانِ بِمَا أَنْزَلَ عَلى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنَ الكِتَابِ العَظِيمِ، الذِي فِيهِ تَصْدِيقُ الأَخْبَارِ التِي جَاءَتْ فِي كُتُبِهِمْ، مِنْ تَقْرِيرِ التَّوْحِيدِ، وَالابْتِعَادِ عَنِ الشِّرْكِ، وَمِنَ التَّبْشِيرِ بِمُحَمَّدٍ وَشَرِيعَتِهِ، وَيَتَهَدَّدُهُمْ، إِنْ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ، بِأَنَّ اللهَ قَدْ يُعَاقِبُهُمْ بِطَمْسِ وُجُوهِهِمْ، فَلا يبقي لَهُمْ سَمْعا وَلاَ بَصرا وَلاَ أَنفا، وَيَجْعَلُ وُجُوهَهُمْ إِلى جِهَةِ ظُهُورِهِمْ، فَيَمْشُونَ القَهْقَرَى إِلى الوَرَاءِ، أَوْ يَلْعَنُهُمْ كَمَا لَعَنَ الذِينَ اعْتَدُوا فِي السَّبْتِ، بالاحتيال فِي صَيْدِ الأَسْمَاكِ، وَقَدْ مَسَخَهُمُ اللهُ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ وَأَمْرُ اللهِ تَعَالَى مَفْعُولٌ لاَ يُخَالَفُ وَلاَ يُمَانَعُ، وَهُوَ وَاقِعٌ لاَ مَحَالَةَ فَاحْذَرُوهُ[6].

ويقول سبحانه: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ واللهُ شَهِيدٌ عَلى مَا تَعْمَلُونَ﴾[7]، فالآية توبخ أهل الكتاب نتيجة كفرهم بآيات الله الدالة على وحدانيته وقدرته وتعلمهم أنه سبحانه وتعالى شهيد ومطلع ومحيط على ما يعملون وسوف يجازيهم على ما قدموا واقترفوا وما ربك بظلام للعبيد.

الزاوية الثانية: أسلوب الحوار

الحوار هو الأسلوب الهادئ والطريق السهل للإقناع والتقارب والتنسيق، وما أشد حاجتنا الآن إلى تأصيل الحوار تأصيلا شرعيا والعودة به إلى المنبع الصافي والمورد العذب الشافي، ألا وهو الكتاب والسنة، مع الاقتداء بسلفنا الصالح وسائر الدعاة والمصلحين والمجددين.

وعن أهمية الحوار واختيار الأسلوب المناسب فيه يقول فضيلة الدكتور أحمد الشرقاوي تحت عنوان الحوار ضرورة عصرية: ففي هذا العصر الذي أضحى العالم فيه مع تنائي الديار وتباعد الأقطار كالقرية الصغيرة، أصبح الحوار ضرورة تفرضها علينا تلك الثورة الهائلة التي لم تكن تخطر على بال، ثورة الاتصالات، ولا سيما ذلك التواصل عن طريق شبكات الإنترنت.

فمن كان يتصور قبل عقود قليلة أن توجد مثل هذه الشبكة التي تربط العالم بهذا الشكل سواء بنقل المعلومات فوريا، أو بالسماح بالحوار عبر المعمورة بحرية كاملة وتكاليف قليلة هي رمزية في معظم الأحيان؟ هذا فضلاً عما حدث من تقدم في وسائل الاتصال الأخرى، وتيسر السفر والانتقال والتلاقي والتحاور.

وإن المتأمل في حال عصرنا هذا وما فيه من هجمة بل هجمات من كل اتجاه على الإسلام حيث

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 5/ 140.
(2) سورة النساء، الآية 171.
(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير 5/ 1978.
(4) سورة النساء، الآية 47.
(5) ابن الجوزي، زاد المسير 2/ 101.
(6) الجزائري، أيسر التفاسير 1/ 268.
(7) سورة آل عمران، الآية 98.

تكالب الأعداء وتداعت الأمم على ديننا وكثرت السهام من كل ناحية من العلمانيين والملاحدة وفلول الشيوعية البائدة ومن الصليبيين على اختلاف مذاهبهم واليهود ومن الرافضة وغيرهم من الفرق والمذاهب الضالة وسائر المضلين والمنافقين والمستغربين والمستشرقين وأدعياء التحرر ودعاة التحلل وغيرهم يدرك أنه يتحتَّمُ على الداعيةِ أن يكون له دوره في مواجهة كل هذه التيارات وفي صد تلك السهام المصوبة على ديننا الحنيف.

وأسلوب الحوار مع أهل الأديان -وأهل الكتاب خاصة- يختلف بحسب اختلاف أصناف الناس، فاختلاف الأساليب مبني على اختلاف المخاطب بها، وقد كان هناك عدد من الأساليب تعد منهجا شرعيا في حوارات الأديان استندت على ما جاء في القرآن الكريم ويمكن إلقاء الضوء على هذه الأساليب فيما يلي:

أ - الأسلوب المباشر في الدعوة: يقول تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[1]. أنت ترى أن القرآن الكريم قد وجه إلى أهل الكتاب أربع نداءات في هذه الآية الكريمة: طلب منهم أن يثوبوا إلى رشدهم، وأن يخلصوا لله العبادة فقال: ﴿ قُلْ يَا أَهلَ الكتاب تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ والسواء: العدل والنصفة، أي: قل يا محمد لأهل الكتاب: هلموا وأقبلوا إلى كلمة ذات عدل وإنصاف بيننا وبينكم. أي: هلموا إلى كلمة لا تختلف فيها الرسل والكتب المنزلة والعقول السليمة، لأنها كلمة عادلة مستقيمة ليس فيها ميل عن الحق.

ثم بين سبحانه هذه الكلمة العادلة المستقيمة التي هي محل اتفاق بين الأنبياء وهي الطلب الثاني فقال: ﴿ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ ﴾ أي: نترك نحن وأنتم عبادة غير الله، بأن نفرده وحده بالعبادة والطاعة والإذعان. ﴿ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ﴾ هذا هو الطلب الثالث أي: لا نشرك معه أحدا في العبادة والخضوع، بأن نقول: فلان إله، أو فلان ابن إله، أو أن الله ثالث ثلاثة ثم يأتي الطلب الرابع وهو ﴿ وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللهِ ﴾

(1) سورة آل عمران، الآية 64.

أي: ولا يطيع بعضنا بعضا في معصية الله فالآية الكريمة قد نهت الناس جميعا عن عبادة غير الله، وعن أن يشرك معه في الألوهية أحد من بشر أو حجر أو غير ذلك، وعن أن يتخذ أحد من البشر في مقام الرب ﷻ بأن يتبع في تحليل شيء أو تحريمه إلا فيما حلله الله أو حرمه.

ولقد كانت رسالة الأنبياء جميعا متفقة في دعوة الناس إلى عبادة الله وحده، وقد حكى القرآن في كثير من الآيات هذا المعنى؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[3]، ثم أرشد الله تعالى المؤمنين إلى ما يجب عليهم أن يقولوه إذا مالج الجاحدون في طغيانهم فقال: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ أي: فإن أعرض هؤلاء الكفار عن دعوة الحق، وانصرفوا عن موافقتكم بسبب ما هم عليه من عناد وجحود فلا تجادلوهم ولا تحاجوهم، بل قولوا لهم: اشهدوا بأنا مسلمون مذعنون لكلمة الحق، بخلافكم أنتم فقد رضيتم بما أنتم فيه من باطل[4].

ومن الآيات التي فيها أسلوب مباشر في الدعوة قوله تعالى مبينا جرائم الذين اتخذوا آلهة مع الله تعالى وعاقبة هذه الجرائم: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[5]، يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: وهذا من أقوال النصارى المنصورة عندهم، زعموا أن الله ثالث ثلاثة: الله، وعيسى، ومريم، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وهذا أكبر دليل على قلة عقول النصارى، كيف قبلوا هذه المقالة الشنعاء، والعقيدة القبيحة؟! كيف اشتبه عليهم الخالق بالمخلوقين؟! كيف خفي عليهم رب العالمين؟! قال تعالى رادا عليهم وعلى أشباههم: ﴿ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ متصف بكل صفة كمال، منزه عن كل نقص، منفرد بالخلق والتدبير، ما بالخلق من نعمة إلا منه. فكيف يجعل معه إله غيره؟» تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ثم

(2) سورة النحل، الآية 36.
(3) سورة الأنبياء، الآية 25.
(4) طنطاوي، التفسير الوسيط 1/ 635.
(5) سورة المائدة، الآية 73.

توعدهم بقوله: ﴿ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1].

ب – أسلوب التذكير: من ذلك ما قصه الله تعالى لبني إسرائيل يذكرهم بالنعم التي أنعمها عليهم، قال تعالى: ﴿ يَا بَنِي إِسْرائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عليكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ على الْعَالَمِينَ ﴾[2]. أفاض القرآن الكريم في الحديث عن النعم التي أنعم بها على بني إسرائيل، وأبرزها نعمة فلق البحر ونجاتهم وإهلاك عدوهم فرعون وجنوده، وأنزل عليهم التوراة فيها هدى ونور وأنزل عليهم المن والسلوى، وغير ذلك الكثير من النعم التي قص علينا القرآن بيانها وكان الله تعالى يذكرهم بهذه النعم كي يزداد شكرهم له ولكن ما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون.

يقول الحافظ ابن كثير عند تعرضه لتفسير الآية السابقة: يذكرهم تعالى سَالفَ نعمه على آبائهم وأسلافهم، وما كان فَضَّلهم به من إرسال الرسل منهم وإنزال الكتب عليهم وعلى سائر الأمم من أهل زمانهم، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ على عِلْمٍ على الْعَالَمِينَ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عليكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾[4]. وقال أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، في قوله تعالى: ﴿ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ على الْعَالَمِينَ ﴾[5]، قال: بما أعطوا من الملك والرسل والكتب على عالم من كان في ذلك الزمان؛ فإن لكل زمان عالما، ورُوي عن مجاهد، والربيع بن أنس، وقتادة، وإسماعيل بن أبي خالد نحوُ ذلك، ويجب الحمل على هذا؛ لأن هذه الأمة أفضل منهم؛ لقوله تعالى خطابا لهذه الأمة: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴾[6]، وفي المسانيد والسنن عن معاوية بن حَيْدَة القشيري، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنتم تُوفُونَ سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله»[7]. والأحاديث في هذا كثيرة تذكر عند قوله تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[8].

ج – أسلوب الترغيب والترهيب: يقول تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ. وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ والإنجيل وَمَا أُنْزِلَ إِلَيهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾[9]. القرآن الكريم هو كتاب الله الخالد الباقي على مر العصور والدهور الذي تكفل الله بحفظه، الذي أنزله الله ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى صراط مستقيم ومن أسلوبه البليغ الذي يأخذ بالألباب أسلوب الترغيب والترهيب وكثيرا ما خاطب الله تعالى الأمم السابقة بهذا الأسلوب، فتارةً يدعوهم بالترغيب دون الترهيب، وتارةً بالترهيب دون الترغيب، وتارةً يجمع بينهما، والآية التي معنا اتبع الحق تبارك وتعالى فيها أسلوب الترغيب لأهل الكتاب إن هم آمنوا واتقوا يتجاوز الله تعالى عن سيئاتهم ويجازيهم خيرا ويدخلهم الجنة، كذلك وعدهم إن أقاموا التوراة والإنجيل بأن اتبعوا ما جاء فيهما من أوامر، وابتعدوا عما فيهما من نواهي وصدقوا ما جاءهم من ربهم لنعموا بالخير الوفير والسعة في الرزق.

يقول الشيخ السعدي: وهذا من كرمه وجوده، حيث ذكر قبائح أهل الكتاب ومعايبهم وأقوالهم الباطلة، دعاهم إلى التوبة، وأنهم لو آمنوا بالله وملائكته، وجميع كتبه، وجميع رسله، واتقوا المعاصي، لكفر عنهم سيئاتهم ولو كانت ما كانت، ولأدخلهم جنات النعيم التي فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِليهِمْ مِن رَبِّهِمْ ﴾ أي: قاموا بأوامرهما ونواهيهما، كما ندبهم الله وحثهم، ومن إقامتهما الإيمان بما دعيا إليه، من الإيمان بمحمد ﷺ وبالقرآن، فلو قاموا بهذه النعمة العظيمة التي أنزلها ربهم إليهم، أي: لأجلهم وللاعتناء بهم ﴿ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان 1/ 239.
(2) سورة البقرة، الآية 47.
(3) سورة الدخان، الآية 32.
(4) سورة المائدة، الآية 20.
(5) سورة البقرة، الآية 47، والآية 122.
(6) سورة آل عمران، الآية 110.
(7) الترمذي، السنن، في كتاب التفسير. والطبراني في المعجم الكبير 19/ 422، حديث رقم 16367. وأحمد، المسند 2/ 391، حديث رقم 19575.
(8) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 1/ 393.
(9) سورة المائدة، الآيتان 65–66.

أَرْجُلِهِمْ﴾ أي: لأدر الله عليهم الرزق، ولأمطر عليهم السماء، وأنبت لهم الأرض كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عليهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾[(1)].

وقد تحدث الشيخ الشعراوي عن ثمرة هاتين الآيتين فقال: هذا القول يدل على أن أهل الكتاب جميعًا في غير حظيرة الإيمان، والحق يوضح لهم: إن فسادهم كان سابقا على ظهور الإسلام، ولهذا جاء الإسلام ليخرج الناس من فسادكم أنتم، لقد كان لكم منهج من الله ولكنكم حرّفتموه، وإن لكم رسلاً أرسلهم الله إليكم ولكنكم أسأتم إليهم، وطقوسًا دينية ابتدعتموها، وجاء الإسلام لا ليهدي الملاحدة فقط، ولكن ليهدي أيضًا الذين أضلهم أرباب أهل الكتاب، وكانوا من بعد الإسلام يحاربون الإسلام بالاستشراف، وكانوا يؤلفون الكتب ليطعنوا الإسلام، لكنهم وجدوا أن الناس تنصرف عنهم؛ لذلك جاءوا بمن يمدح الإسلام ويدس في أثناء المديح ما يفسد عقيدة المسلمين، ثم يقول وقوله الحق: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُواْ وَاتَّقَوْاْ﴾ إنما يدعوهم إلى الإيمان والتقوى، والإيمان محله القلب، أي أن يستقر في القلب الاعتقادُ بوجود إله أعلى، ونؤمن بالبلاغ عن الإله الأعلى بواسطة الرسل، وأن نؤمن بالرسل وبالمناهج التي جاءوا بها، وأن نتبع هذه المناهج، وأن نؤمن بأن المرجع إلى الله، هذا الإيمان ينعكس على الحركة الإيمانية في الأرض، ويحقق الإيمانُ مع التقوى اتجاهَ الإنسان إلى الصالح من العمل، وأن يبتعد عن غير الصالح من العمل.. لقد كان من الواجب عليهم أن يعرفوا أن مجيء رسول الله ﷺ هو فرصة للتراجع عن الكفر والبهتان، وقد جاء ﷺ ليقيم تصفية عقدية في الكون، فالملحد يجب عليه أن يتعرف على خالق الوجود ويؤمن به، والمبدل لمنهج الله ينبغي أن يعود إلى منهج الله، وتلك هي التصفية العقدية الشاملة[(2)].

وهكذا يتبين لنا أن أسلوب الترغيب والترهيب كان من أهم وسائل الدعوة إلى الله تعالى، وهو أسلوبٌ قرآني، وخلق قويم، استعمله النبي ﷺ كثيرًا في دعوته إلى الله ﷻ، ومن أمثلة ذلك ما رواه أنس بن مالك ؓ قال: بلغ رسول الله عن

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان 1/ 238.

(2) الشعراوي، تفسير الشعراوي 6/ 3274-3275 بتصرف.

أصحابه شيء فخطب، فقال: «عرضت علي الجنة والنار فلم أر كاليوم في الخير والشر ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا» قال: فما أتى على أصحاب رسول الله يوم أشد منه قال: غطوا رؤوسهم ولهم خنين[(3)].

ومن أحاديث الرجاء والترغيب ما حدث به أبو ذر ؓ قال: أتيت النبي وعليه ثوبٌ أبيضٌ وهو نائم، ثم أتيته وقد استيقظ فقال: «ما من عبدٍ قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة» قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق» قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر»[(4)]، وكان أبو ذر إذا حدث بهذا قال: وإن رغم أنف أبي ذر.

د - الأسلوب الاستفهامي الإنكاري: من الآيات القرآنية التي ظهر فيها الأسلوب الاستفهامي الإنكاري قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ. يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[(5)]، فالآية تخاطب أهل الكتاب على سبيل الاستفهام الإنكاري قائلة لهم: ﴿لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾؟ يعني القرآن، وقيل الآيات الواردة في التوراةَ والإنجيل من نعت محمد ﷺ وصفته، ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ يعني أن نعته مذكور في التوراة والإنجيل. ثم يقول لهم: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾؟، وذلك أن علماء اليهود والنصارى كانوا يعلمون بقلوبهم أن محمدا رسول من عند الله وأن دينه حق، وكانوا ينكرون ذلك بألسنتهم وكانوا يجتهدون في إلقاء الشبهات والتشكيكات، وذلك أن الساعي في إخفاء الحق لا يقدر على ذلك إلاّ بهذه الأمور فقوله تعالى: ﴿لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾؟ معناه تحريف التوراة وتبديلها، وقيل هو خلط الإسلام باليهودية والنصرانية، وقيل إنهم كانوا يقولون: إن محمدا معترف بصحة نبوة موسى وإنه حق ثم إن التوراة دالة على أن شرع موسى لا ينسخ فهذا من تلبيساتهم على الناس ﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ يعني نعت محمد وصفته في التوراة ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

(3) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب توقيره ﷺ 4/ 1832، حديث رقم 5489.

(4) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب اللباس، باب الثياب البيض، حديث رقم 5497.

(5) سورة آل عمران، الآيتان 70-71.

يعني أنه رسول من عند الله وأن دينه حق وإنما كتمتم الحق عنادا وحسدا وأنتم تعلمون ما تستحقون على كتمان الحق من العقاب[1].

ومن خلال العرض السابق للمنهج الشرعي للحوار مع أصحاب الأديان يتبين أن الأساس في الحوار هو الدعوة وإقامة الأدلة مع صحة دين الإسلام ووجوب الانقياد له ونبذ الأديان المحرفة وبيان ما في دينهم المحرف من الباطل بلغة علمية، ومنهجية سليمة، وهذه حقيقة شرعية واضحة لمن استقرأ نصوص الكتاب والسنة، وطالع أخبار الأنبياء وعرف طبيعة رسالتهم.

ومن هنا كان لزاما علينا كشف أشكال الحوارات الباطلة، وبيان عدم انسجامها مع العقيدة الصحيحة وذلك عن طريق إعداد الدراسات والأبحاث المتنوعة.

الفصل الثاني: آداب الحوار

تمهيد

لقد قيض الله لهذا الدين أنصارا من أمم وشعوب شتى يدافعون عنه، ويدعون إليه، ويبينونه للناس، فعلى من اختاره الله لهذه المهمة النبيلة أن يكون لبقا، حكيما في دعوته، وأمره ونهيه، واضعا نصب عينيه قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ..﴾[2].

إن الكلمة الطيبة التي يلقيها الداعية الصادق في أذن امرئ شارد عن الطريق فيغرس بها بذرة الهداية في قلبه، تعود على الداعي بثواب عظيم، وأجر جزيل، قال عنه المصطفى ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص من أجورهم شيئا»[3].

ولأن الحاجة إلى الحوار ضرورية وملحة في الدعوة الإسلامية فقد رسم الرسول ﷺ أروع الأخلاق في الحوار وأحسنها، بل وأسماها وأنبلها؛ لأنها مطلب إلهي أوصى الله به رسوله ﷺ في كثير من الآيات القرآنية العظيمة -كآية النحل السابقة- ولقد اهتم الإسلام بالحوار اهتماما كبيرا؛ وذلك لأن الإسلام يرى أن الطبيعة الإنسانية ميالة بطبعها وفطرتها إلى الحوار، أو الجدال كما يطلق عليه القرآن الكريم في وصفه للإنسان: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾[4]، بل إن صفة الحوار، أو الجدال لدى الإنسان في نظر الإسلام تمتد حتى إلى ما بعد الموت، إلى يوم الحساب كما يخبرنا القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾[5].

ونحن بحاجة إلى الحوار؛ ليفهم بعضنا بعضا، نحاور بعضنا بعضا، ونتحاور مع الآخرين، فنتحاور مع أبنائنا كما قال تعالى في أكثر من موضع على لسان لقمان عليه السلام: ﴿يا بني﴾[6]، ونتحاور مع أهل الكتاب كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ﴾[7]، ونتحاور مع المشركين كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾[8].

وثمرة الحوار: الوصول إلى الحق، فمن كان طلبه الحق وغرضه الحق وصل إليه بأقرب الطرق، وألطفها وأحسنها، والطريق الواضح هو طريق الحوار الذي سلكه الرسول ﷺ قبل أن يحمل السيف، قال سبحانه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾[9]، فقبل أن يرسلهم بالسيوف القاطعات والرماح المرهفات، أرسلهم بالآيات البينات، ولا بد أن نعترف أن الخلاف واقع في الأمة، وهو على قسمين:

أ- خلاف تنوع: وهو الذي يُسلك في الفروع، لا في الأصول، وفي الجزئيات، لا في الكليات.

ب- خلاف تضاد: وهو المذموم، قال ﷻ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[10]، وهم الذين يخالفون في القطعيات، وثوابت الأمة، وأصول الملة، فهذا خلاف مذموم، والحوار الصحيح لا بد أن يتسم صاحبه بآداب سامية وقد قسمت الحديث في هذا الفصل إلى مبحثين رئيسين: أولهما: آداب الحوار النفسية. وثانيهما: آداب الحوار العلمية. وإليكم التفصيل بعد الإجمال، فأقول وبالله التوفيق:

(1) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل 1/ 366.
(2) سورة النحل، الآية 125.
(3) مسلم، صحيح مسلم، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى، حديث رقم 4938.

(4) سورة الكهف، الآية 54.
(5) سورة النحل، الآية 111.
(6) سورة لقمان، الآية 13.
(7) سورة آل عمران، الآية 64.
(8) سورة التوبة، الآية 6.
(9) سورة الحديد، الآية 25.
(10) سورة آل عمران، الآية 105.

المبحث الأول: آداب الحوار النفسية

هناك آداب تتعلق بنفسية المحاور وشخصه، وهناك ظروف نفسية قد تطرأ على الحوار فتؤثر فيه تأثيرًا سلبيًّا، فينبغي مراعاة ذلك حتى يحقق الحوار غاياته ويؤتي ثمراته، وأهم هذه الآداب النفسية:

1. تهيئة الجو المناسب للحوار:

فلا بد من الابتعاد عن الأجواء الجماعية والغوغائية؛ لأن الحق قد يضيع في مثل هذه الأجواء. كما ينبغي اختيار المكان الهادئ وإتاحة الزمن الكافي للحوار، كما ينبغي مراعاة الظرف النفسي والاجتماعي للطرف الآخر، فلا يصلح أبدًا أن يتم الحوار مع شخص يعاني من الإرهاق الجسدي أو النفسي، لأن هذه الأمور ستؤثر في الحوار.

ومن الوسائل في تهيئة الجو المناسب للحوار:

أ - التعارف بين الطرفين: ومن الشواهد الدالة على ذلك ما جاء في قصة الملائكة مع إبراهيم عليه السلام حين أوجس منهم خيفة فعرفوه بأنفسهم وبسبب مجيئهم قال تعالى: ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾[1]. قال الإمام الطبري رحمه الله في قوله ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾: قالت الملائكة لما رأت ما بإبراهيم من الخوف منهم لا تخف منا، وكن آمنا فإنا ملائكة ربك أرسلنا إلى قوم لوط[2]، ومن أمثلته حديث عمرو بن عبسة السلمي حين قدم مكة يبحث عن النبي ﷺ فلما لقيه وعرفه مال إلى الإسلام فأمره النبي ﷺ بالرجوع إلى قومه حتى يسمع بظهور الإسلام، فجاء إلى النبي ﷺ في المدينة -بعد ذلك- فدخل عليه فقال: يا رسول الله: أتعرفني؟ قال: نعم، أنت الذي لقيتني بمكة[3].

ب-طرح أسئلة في غير موضوع الحوار لتهيئة نفسية الطرف الآخر: ومن ذلك ما جاء في سؤال إبراهيم عليه السلام للملائكة في قوله تعالى: ﴿قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾[4]، فأخبرهم بأنه لا يعرفهم[5]، ومنه حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: إن وفد عبد القيس لما أتوا النبي ﷺ قال: من القوم؟ أو من الوفد؟ قالوا: ربيعة، قال: مرحبا بالقوم أو بالوفد، غير خزايا ولا ندامى..)[6].

ج -التقديم للحوار بكلمات مناسبة ومقدمات لطيفة تلفت انتباه الطرف الآخر: ومن شواهد ذلك في القرآن ما جاء في دخول الملائكة على إبراهيم وبدئهم بتبشيره بغلام عليم مما أفرحه وزوجه وأذهب عنه الروع والفزع فشرع بعدها في الحوار والجدل كما أخبر الله تعالى عنه. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى..﴾ إلى قوله: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾[7]. قال الزمخشري: والمعنى أنه لما اطمأن قلبه بعد الخوف البشرى فرغ للمجادلة[8]، إذا فقد كان للبشرى والكلام الذي صحبها أثر واضح على نفسية إبراهيم عليه السلام ودور ملموس في تهيئة الحوار.

2. الإخلاص وصدق النية:

لا بد من توفر الإخلاص لله وحسن النية وسلامة القصد في الحوار والمناظرة، وأن يبتعد المناظر عن قصد الرياء والسمعة، والظهور على الخصم والتفوق على الآخرين، والانتصار للنفس، وانتزاع الإعجاب والثناء.

ومن دلائل الإخلاص لله والتجرد لطلب الحق أن يفرح المحاور إذا ظهر الصواب على لسان مخالفه، كما قال الشافعي: ما ناظرت أحدًا إلا تمنيت لو أن الله أظهر الحق على لسانه[9]، ويعينه على ذلك أن يستيقن أن الآراء والأفكار ومسالك الحق ليست ملكًا لواحد أو طائفة، والصواب ليس حكرًا على واحد بعينه.

على المُحاور أن يوطِّن نفسه، ويُروِّضها على الإخلاص لله في كل ما يأتي وما يذر في ميدان الحوار وحلبته، ومن أجلى المظاهر في ذلك:

(1) سورة هود، الآية 70.

(2) الطبري، جامع البيان 12/ 472.

(3) مسلم، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين 1/ 569، حديث رقم 294.

(4) سورة الذاريات، الآية 25.

(5) الطبري، جامع البيان 21/ 526.

(6) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان 1/ 46، حديث رقم 23.

(7) سورة هود، الآيات 69-74.

(8) الزمخشري، الكشاف 3/ 217.

(9) الذهبي، سير أعلام النبلاء 10/ 29.

أن يدفع عن نفسه حب الظهور والتميُّز على الأقران، وإظهار البراعة وعمق الثقافة، والتعالي على النظراء والأنداد. إنّ قصد انتزاع الإعجاب والثناء واستجلاب المديح، مُفسد للأمر صارف عن الغاية وسوف يكون فحص النفس دقيقا وناجحا لو أن المُحاور توجه لنفسه بهذه الأسئلة:

- هل ثمة مصلحة ظاهرة تُرجى من هذا النقاش وهذه المشاركة؟
- هل يقصد تحقيق الشهوة أو إشباع الشهوة في الحديث والمشاركة؟
- وهل يتوخّى أن يتمخض هذا الحوار والجدل عن نزاع وفتنة، وفتح أبواب من هذه الألوان حقهًا أن تسدّ؟

ويدخل في باب الإخلاص والتجرد توطين النفس على الرضا والارتياح إذا ظهر الحق على لسان الآخر ورأيه، ويعينه على ذلك أن يستيقن أن الآراء والأفكار ومسالك الحق ليست ملكا لواحد أو طائفة، والصواب ليس حكرا على واحد بعينه، فهمُّ المخلص ومهمته أن ينتشر الحق في كل مكان، ومن أيّ مكان، ومن أيّ وعاء، وعلى أيّ فم.

إن من الخطأ البيّن في هذا الباب أن تظن أنّ الحق لا يغار عليه إلا أنت، ولا يحبه إلا أنت، ولا يدافع عنه إلا أنت، ولا يتبناه إلا أنت، ولا يخلص له إلا أنت ومن الجميل، وغاية النبل، والصدق الصادق مع النفس، وقوة الإرادة، وعمق الإخلاص أن تُوقِفَ الحوار إذا وجدْت نفسك قد تغير مسارها ودخلتْ في مسار اللجج والخصام ومدخولات النوايا[1]، ومن النصوص الواردة في ضرورة الإخلاص في الحوار، ما جاء في دعوة الأنبياء لأقوامهم وصدقهم فيها وإبداء النصح لهم ومن ذلك قول نوح عليه السلام لقومه: ﴿ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ. أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[2]، ومثله قول هود عليه السلام: ﴿ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ. أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾[3]. قال ابن كثير رحمه الله: وهذه الصفات التي يتصف بها الرسل البلاغ والنصح والأمانة[4].

(1) ينظر: ابن حميد، أصول الحوار وآدابه في الإسلام، ص 18.
(2) سورة الأعراف، الآيتان 61-62.
(3) سورة الأعراف، الآيتان 67-68.
(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 6/ 330.

3. الإنصاف والعدل:

من المبادئ الأساسية في الحوار: العدل والإنصاف، ومن تمام الإنصاف قبول الحق من الخصم، والتفريق بين الفكرة وقائلها، وأن يبدي المحاور إعجابه بالأفكار الصحيحة والأدلة الجيدة، ومن نماذج الإنصاف ما ذكره الله سبحانه في وصف أهل الكتاب: ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾[5]، والإنصاف أن تكون الحقيقة ضالتك المنشودة، تبحث عنها في كل مكان، وفي كل عقل. جرِّد نفسك، ولا تبالِ بالناس رضوا أم سخطوا، وكن باحثًا عن الحقيقة، وليعلم ربك من قلبك أنه ليس في قلبك إلا محبة الله تعالى، ومحبة رسوله ﷺ، وحب الحق الذي يحبه الله ورسوله.

فلتستخلص الحق من خصمك، ولو من بين ركام الباطل الكثير الذي ربما جاء به وربما أجرى الله تعالى كلمة الحق على لسان الفاسق، أو حتى على لسان الكافر -أحيانًا- فيمكن أن تستفيد من المحاور ولو كان فاسقًا أو كافرًا، فقد تستفيد منه عيبًا موجودًا عندك أو عند المسلمين، أو تستفيد منه مصلحة دنيوية للمسلمين، أو أسلوبًا من أساليب الدعوة إلى الله تعالى، ربما فطن له هو، وغفلت أنت عنه.

وللشيخ عبد الرزاق عفيفي[6] -رحمه الله- كلمة حكيمة جميلة، يقول فيها معبرًا عن رد الحق عند الكثيرين: «إن الذين لديهم ذكاء حاد لا يقبلون الصواب غالبًا إلا إذا كان من عند أنفسهم؛ وذلك أن الله تعالى أعطاهم قدرات وطاقات عالية، وُفِّقوا بسببها إلى كثير من الحق الذي أخطأ فيه الناس؛ ولذلك فلديهم من الثقة بآرائهم وعدم الثقة بآراء الآخرين ما يصعب معه على الناس إقناعهم بغير الآراء التي يرونها».

إن الاعتراف بالحق وإعلانه أيضًا لا ينقص من قيمة الإنسان، فكونك تقول في مناظرة أو محاورة

(5) سورة آل عمران، الآية 113.
(6) الشيخ عبد الرزاق عفيفي: أحد علماء الأزهر الشريف كان رئيسا لجماعة أنصار السنة المحمدية في مصر ثم اختار الهجرة إلى بلاد الحرمين الشريفين فدرس في مناطق شتى، تولى التدريس في كلية الشريعة في الرياض ثم عين مديرا للمعهد العالي للقضاء ثم انتقل إلى دار الإفتاء، فكان عضوا في هيئة كبار العلماء، وفي اللجنة الدائمة للإفتاء توفي بالرياض ودفن بها سنة 1415هـ ينظر: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، جماعة أنصار السنة المحمدية.

أو محاضرة: أنا أخطأت في كذا، هذا لا يعيبك؛ بل هذا يرفع منزلتك عند الناس، ويدل على شجاعتك وقوتك، وثقتك بنفسك[1]، ومن الآيات الدالة على الإنصاف والعدل ما جاء في الوصايا العشر في آخر سورة الأنعام قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾[2].

4. التواضع وحسن الخلق:

إن التزام الأدب وحسن الخلق عمومًا، والتواضع على وجه الخصوص له دور كبير في إقناع الطرف الآخر، وقبوله للحق وإذعانه للصواب، فكل من يرى من محاوره توقيرًا وتواضعًا، ويلمس خلقًا كريمًا، ويسمع كلامًا طيبًا، فإنه لا يملك إلا أن يحترم محاوره، ويفتح قلبه لاستماع رأيه، وفي الحديث الصحيح: «وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله»[3]، أي يرفع منزلته في الدنيا عند الناس، وكذلك يرفعه في الآخرة ويزيد من ثوابه فيها بتواضعه في الدنيا، ومما ينافي التواضع: العجب والغرور والكبر.

وقد أثبتت التجارب أن التواضع فضيلة تهدي صاحبها للحق، وأما الكبر والغرور بالنفس والإعجاب بها، فيصد عن الحق البين الظاهر، وقد ورد عن النبي ﷺ في صحيح مسلم قوله: «الكبرُ بطر الحق وغمط الناس»[4]، وبطر الحق رده والإعراض عنه؛ كما أخبر الخالق ﷻ أن معصية إبليس كان الدافع إليها الكبر والغرور، قال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[5]، ولما سأله الله ﷻ عن السبب قال معجبا: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[6]، ولا يكون الحوار مثمراً في مجال معرفة الحق إلا إذا كان قائما على الأدلة والبراهين، ولقد علمنا الإسلام في مجال إحقاق الحق أن نتحاور مع الآخرين وفق قاعدة: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[7]، وقد أثبت التاريخ أن الأطراف المتحاورة إذا كانت من أهل الإنصاف فإنها تعترف بالحق عند ثبوته.

ومن الفضائل المهمة ألا يستنكف المتحاور من قبول الحق ولو جاء ممن هو دونه علما أو سنا أو قدرا، ومن الرجوع للحق بعد أن يتبين له؛ وقد أرشد القرآن إلى أن ابن آدم الأول تعلم من غُراب كيف يواري سوأة أخيه؟ كما أن سليمان عليه السلام تعلم من الهدهد ما لم يكن يعلمه: ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾[8].

وقد حفظ لنا التاريخ رسالة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه في القضاء، والتي جاء فيها: «ولا يمنعنك قضاء قضيته بالأمس، فهديت فيه إلى رشدك أن تراجع نفسك اليوم فإن الحق قديم، وإن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل»[9]، وأن تكون فرصة الحوار متكافئة، فلا يُشعر طرف بالقهر أو الضعف، إذ إنه لو كان الحوار بين قوي وضعيف، أو غالب ومغلوب، أو مستعمر ومستعمر، أو قاهر ومقهور.. إلخ، فإنه لن يكون هناك حوار، وإنما سيكون هناك إملاء من طرف والقبول أو الاستسلام من الطرف أو الأطراف الأخرى.. وهذا الذي دل عليه الواقع الذي نقله لنا القرآن وسواه، من ذلك على سبيل المثال لا الحصر: قص علينا القرآن الكريم ما كان من فرعون -رمز الاستبداد السياسي والقهر- حين جاءه موسى يحاوره ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾[10].

- أما في التاريخ الحديث فيكفي أن يراجع الإنسان مواقف القوى العالمية الكبرى، منذ الحرب العالمية الثانية، تجاه قضايا العالم الثالث على العموم، والبلاد الإسلامية على الخصوص، حتى يتجلى له انطباق هذه الحقيقة على الضعفاء، وكم ضاعت حقوق في مؤتمرات عقدت للحوار حول قضايا محددة؟ تكفي نظرة سريعة على مجريات المؤتمرات التي عقدها «الكيان الصهيوني» بإشراف أمريكا مع العرب، ابتداء من «كامب ديفيد» وانتهاء بـ «شرم الشيخ» حتى يتبين كيف استسلم الضعفاء للأقوياء؟ ويكفي أن يستمع الإنسان أو يقرأ ما قاله رئيس جمهورية البوسنة عقب مؤتمر «دايتون» ليعلم مدى الظلم الذي

---

(1) العودة، أدب الحوار، ص 41-42.
(2) سورة الأنعام، الآية 152.
(3) مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع، حديث رقم 4795.
(4) مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، حديث رقم 4795.
(5) سورة البقرة، الآية 34.
(6) سورة الأعراف، الآية 12.
(7) سورة النمل، الآية 64.
(8) سورة النمل، الآية 21.
(9) ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين 1/ 152.
(10) سورة غافر، الآية 29.

وقع على المسلمين..إلخ[1].

من كل ذلك يتبين أن الحوار الذي لا يقوم بين أطراف متكافئة لا تكون نتائجه إلى خير، وإنما تكون ظالمة.. ولذلك أكدت شريعة الإسلام العدل المطلق بين الصديق والعدو، مع القريب والغريب، وتكفي الإشارة هنا إلى قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لله شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[2].

5. الحلم والصبر:

يجب على المحاور أن يكون حليمًا صبورًا، لا يغضب لأتفه سبب، ولا ينفر لأدنى أمر، ولا يستفز بأصغر كلمة، فقد أمر سبحانه نبيه بأخذ العفو وإعذار الناس وترك الإغلاظ عليهم كما في قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[3]، والصفح والعفو أبلغ من كظم الغيظ ورد الغضب، لأن العفو ترك المؤاخذة، وطهارة القلب، والسماحة عن المسيء، ومغفرة خطيئته.

وأعظم من ذلك وأكبر هو دفع السيئة بالحسنة، ومقابلة فحش الكلام بلينه، والشدة بالرفق، ورد الكلمة الجارحة بالكلمة الطيبة العذبة، والسخرية والاحتقار بالتوقير والاحترام، وهذه منزلة لا يصل إليها إلا من صبر وكان ذا حظ عظيم: ﴿وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ. وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[4]، فعلى المحاور أن يعتمد الهدوء والروية وأن يتحلى بالحلم والصبر والوقار وهذا يعنى عدم التسرع والانفعال والغضب بسبب وبدون سبب، فهذا يعثر الحوار ولا ينجحه، فالحلم والصبر يعنى التجاوز عن أخطاء الخصم والصفح عنها وعدم مقابلتها بمثلها، ولا يجاري خصمه في الشغب، بل يعتمد الهدوء والوقار، ومن الأمثلة التي طبق فيها الصبر وجرب فيها الحلم والعفو فبانت آثارها وظهرت نتائجها قصص الأنبياء مع أقوامهم:

- فهذا نوح ﷺ يكذبه قومه ويتهموه بالضلال المبين، فيرد عليهم بحلم وهدوء: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلاَلَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[5]، ومثله هود ﷺ يتهم بالسفاهة فلا يزيد على نفي هذه التهمة في صبر وحكمة: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[6]، ويوسف ﷺ يكيد له أخوته ويفرقون بينه وبين أبيه سنين عددا ثم لما يظهر عليهم ويكشف أمرهم لا يكتفي بالصفح عنهم بل يزيد على ذلك فيعلن لهم أنه لا يلومهم ولا يثرب عليهم ولن يعيرهم بذنوبهم ومع ذلك يدعو لهم بالمغفرة والرحمة وهذا نهاية الإحسان الذي لا يتأتى إلا من خواص الخلق وخيار المصطفين: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عليكُمُ اليوْمَ يَغْفِرُ الله لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[7]، ولعل هذه الأمثلة كافية في الدلالة على المقصود، وبيان التطبيق العلمي لمعاني الصبر والتحمل، والحلم والعفو وكظم الغيظ ونحوها.

6. الرحمة والشفقة بالخصم والحرص على إقناعه:

إن المحاور المسلم المخلص الصادق يحرص على ظهور الحق، ويشفق على خصمه الذي يناظره من الضلال، ويخاف عليه من الإعراض والمكابرة والتولي عن الحق، فالرحمة والشفقة أدب مهم جدًا في الحوار، لأن المحاور يسعى لهداية الآخرين واستقامتهم فلذلك يبتعد عن كل معاني القسوة والغلظة والفظاظة والشدة. فلا يكون الحوار فرصة للكيد والانتقام، أو وسيلة لتنفيس الأحقاد، وطريقة لإظهار الغل والحسد ونشر العداوة والبغضاء.

والرحمة جسر بين المحاور والطرف الآخر، ومفتاح لقلبه وعقله، وكلما اتضحت معالم الرحمة على المحاور انشرح صدر الخصم، واقترب من محاوره، وأذعن له واقتنع بكلامه. يقول سبحانه مخاطبًا نبيه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[8].

ولذلك كان الأنبياء في حوارهم مع أقوامهم يصرحون بالخوف والحرص والشفقة عليهم، ومن

(1) يراجع: موسى، أهم ضوابط الحوار في الإسلام.
(2) سورة المائدة، الآية 8.
(3) سورة الأعراف، الآية 199.
(4) سورة فصلت، الآيتان 34-35.
(5) سورة الأعراف، الآية 61.
(6) سورة الأعراف، الآية 67.
(7) سورة يوسف، الآية 92.
(8) سورة آل عمران، الآية 159.

نماذج ذلك تصريح مؤمن آل فرعون لقومه بالرحمة والشفقة والخوف عليهم في أكثر من موضع. قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عليكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ. مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ. وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عليكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾(1)، وهذه الرحمة والشفقة وذلك الحرص والخوف على الخصم ليس معناه المداهنة ولا المودة ولا القربة ولا المحبة للكافر المعاند ولذلك لما انتهى نوح ﷺ إلى تلك النهاية وقت الرحمة والتقرب إليهم فما كان منه إلا أن أطلق هذه الكلمات: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ على الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فاجِرًا كَفَّارًا﴾(2).

ومن هذا الباب أيضاً قتال الأنبياء لأقوامهم، وما يشهده تاريخهم من غزوات ومعارك وجهاد، مع حرصهم وشفقتهم ولكن أحيانا لا يصلح أي علاج آخر غير تطهير وجه الأرض من الظالمين لأن وجودهم يجمد الدعوة إلى الله نهائيا ويحول بينها وبين الوصول إلى قلوب الآخرين(3).

7. حسن الاستماع:

لا بد للمحاور الناجح أن يتقن فن الاستماع، فكما أن للكلام فنًّا وأدبًا، فكذلك للاستماع، وليس الحوار من حق طرف واحد يستأثر فيه بالكلام دون محاوره، ففرق بين الحوار الذي فيه تبادل الآراء وبين الاستماع إلى خطبة أو محاضرة، ومما ينافي حسن الاستماع مقاطعة كلام الطرف الآخر، فإنه طريق سريع لتنفير الخصم إضافة إلى ما فيه من سوء أدب، كما أنه سبب في قطع الفكرة مما يؤثر في تسلسل الأفكار وترابطها، ويؤدي إلى اضطرابها ونسيانها.

ومن آداب المتناظرين: ألا يتعرض أحدهما لكلام الآخر حتى يفهم مراده من كلامه تمامًا، وأن ينتظر كل واحد منهما صاحبه حتى يفرغ من كلامه، ولا يقطع عليه كلامه من قبل أن يتمه، والاستماع إلى الطرف الآخر وحسن الإنصات، يهيئ الطرف الآخر لقبول الحق، ويمهد نفسه للرجوع عن الخطأ.

كما يطلب الالتزام بوقت محدد في الكلام، وتجنب الإطالة قدر الإمكان، فيطلب حُسن الاستماع، واللباقة في الإصغاء، وعدم قطع حديث المُحاور. وإنّ من الخطأ أن تحصر همّك في التفكير فيما ستقوله، ولا تُلقي بالاً لمُحدثك ومُحاورك، وقد قال الحسن بن علي لابنه: يا بنيّ إذا جالست العلماء، فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وتعلم حُسْنَ الاستماع كما تتعلم حسن الكلام، ولا تقطع على أحد حديثا -وإن طال- حتى يُمسك.

ويقول ابن المقفع: تَعلَّمْ حُسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام؛ ومن حسن الاستماع: إمهال المتكلم حتى ينقضي حديثه، وقلة التلفت إلى الجواب، والإقبال بالوجه، والنظر إلى المتكلم، والوعي لما يقول. لا بد في الحوار الجيِّد من سماع جيِّد؛ والحوار بلا حُسْن استماع هو (حوار طُرْشان) كما تقول العامة، كل من طرفيه منعزل عن الآخر، إن السماع الجيِّد يتيح القاعدة الأساسية لالتقاء الآراء، وتحديد نقاط الخلاف وأسبابه.

حسن الاستماع يقود إلى فتح القلوب، واحترام الرجال وراحة النفوس، تسلم فيه الأعصاب من التوتر والتشنج، كما يُشْعِرُ بجدّية المُحاور، وتقدير المُخالف، وأهمية الحوار ومن ثم يتوجه الجميع إلى تحصيل الفائدة والوصول إلى النتيجة(4).

لعل قصص الأنبياء -عليهم السلام- حافلة بالأمثلة والنماذج لحسن استماع الرسل لأقوامهم، وإنصاتهم للشبه والاعتراضات، بل للسب والشتم والاعتداء في القول أحيانا ومع ذلك يصبرون على سماع تلك الأقوال والكلمات النابية ويتلوها منهم الرد الجميل، أو الجواب المفحم بأدب لطيف وكلام منزه عن السفاهة والشتائم وذكر الأمثلة يطول جدا ولكن نشير إلى بعض الأقوال الآثمة التي استمعها الأنبياء من أقوامهم:

- قوله تعالى في قصة نوح ﷺ: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾(5).
- قوله تعالى في قصة هود ﷺ: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾(6).
- قوله تعالى في قوم شعيب ﷺ: ﴿قَالَ الْمَلَأُ

(1) سورة غافر، الآيات 30-32.
(2) سورة نوح، الآيتان 26-27.
(3) زمزمي، الحوار آدابه وضوابطه في ضوء القرآن والسنة، ص ص 218-219.
(4) ابن حميد، أصول الحوار وآدابه في الإسلام، ص 15-16.
(5) سورة الأعراف، الآية 60.
(6) سورة الأعراف، الآية 66.

الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾[1].

– ومن ذلك أقوال فرعون المتعددة في أمر موسى عليه السلام كقوله: ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾[2]، إلى غير ذلك من الأمثلة والشواهد التي تثبت حسن استماع الأنبياء –عليهم السلام– وإنصاتهم لتلك الترهات والضلالات وضبط النفس في أثناء عرضها، ثم ما يتلو ذلك من الرد المفحم اللطيف.

والمقصود أن حسن الاستماع وإعطاء الفرصة للخصم في إبداء آرائه وعدم الاستئثار بالكلام دون الطرف الآخر والصبر على ما قد يكون من كلام الخصم من إساءة أو تعريض أو نحوه، وعدم مقاطعته أو الانشغال عنه، كل ذلك من الأدب اللطيف والخلق الجميل الذي ينبغي أن يتصف به المحاور حتى يكون ناجحا، وليعلم المحاور أن الاستئثار بالكلام والإطالة فيه غالبا ما يدل على إعجاب المرء بنفسه أو حب الشهرة أو الغفلة عن تقدير الطرف الآخر من حيث العلم والوقت والموقف.

8. الاحترام والمحبة على رغم الخلاف:

الخلاف أمرٌ واقع لا محالة، ولكن لا يجوز أن يؤدي الخلاف بين المتناظرين الصادقين في طلب الحق إلى تباغض وتقاطع وتهاجر، أو تشاحن وتدابر، فأخوة الدين، وصفاء القلوب، وطهارة النفوس فوق الخلافات الجزئية، والمسائل الفرعية، واختلاف وجهات النظر، لا ينبغي أن يقطع حبال المودة، ومهما طالت المناظرة، أو تكرر الحوار، فلا ينبغي أن تؤثر في القلوب، أو تكدر الخواطر، أو تثير الضغائن.

والقرآن الكريم أفاض في الحديث عن احترام الآخر حتى وإن اختلف الدين أو اختلفت وجهات النظر فقد شجّع المسلمين على البرّ والإحسان للكفار غير المعادين المحاربين يقول تعالى: ﴿ لاَ يَنهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾[3].

وإذا كان مطلوبا من المسلم أن يدعو إلى دينه وأن يوضّح بطلان وفساد الأديان الأخرى إلا أن ذلك يجب أن يكون بأسلوب لائق لا يجرح مشاعر الآخرين ولا ينفّرهم، يقول تعالى: ﴿ وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾[4].

وما أروع تأديب الإسلام لأبنائه وتربيته لهم على احترام الآخرين حينما ينهى القرآن الحكيم المسلمين عن سبّ أصنام الكفّار وأوثانهم! لماذا؟ لأن الكفار يعتبرون الأصنام مقدسات لهم، وكل إنسان يدافع عن مقدساته وإن كانت زائفة باطلة، فإذا اعتدى المسلمون وأهانوا مقدسات الكفار فستكون ردة الفعل الطبيعية للكافرين إهانة وسبّ مقدسات المسلمين، ولا يرضى الإسلام تبادل الإهانة والسبّ كلغة حوار وتعامل بين أصحاب الأديان فلنتأمل الآية الكريمة التالية ولنتدبّر في أبعادها العظيمة، يقول تعالى: ﴿ وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[5].

فالآية الكريمة تلفت أنظار المؤمنين إلى عدة حقائق يجب أن يأخذوها بعين الاعتبار في تعاملهم مع الآخرين:

1. أن كل أمة أو جماعة لها مبدأ فإنها تعتقد بقداسته وإن كان باطلا في نظر الآخرين ﴿ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ﴾.
2. الإنسان مسؤول أمام ربه يوم القيامة، ولا يحق لأحد في الدنيا أن يفتش عقائد الناس ويحاكمهم على أديانهم، فذلك الأمر موكول لرب الخلق يوم الحساب.
3. أن أي فعل تجاه الآخرين يسبب ردّ فعل من نوعه وجنسه، فإذا كان المسلمون حريصين على احترام دينهم، ومقدساتهم فعليهم أن يحترموا أديان الآخرين ومقدساتهم في ظاهر التعامل معهم وإلا فليتوقعوا الإهانة لمعتقداتهم حينما يسبّون معتقدات الآخرين.

وقد اختلف السلف فيما بينهم، وبقيت بينهم روابط الأخوة الدينية، فهذان الخليفتان الراشدان، أبو بكر وعمر، يختلفان في أمور كثيرة، وقضايا متعددة، مع بقاء الألفة والمحبة، ودوام الأخوة والمودة، ويظهر ذلك من ثناء كل واحد منهما على صاحبه.

(1) سورة الأعراف، الآية 88.
(2) سورة الشعراء، الآية 27.
(3) سورة الممتحنة، الآية 8.
(4) سورة العنكبوت، الآية 46.
(5) سورة الأنعام، الآية 108.

فنحن مأمورون أن نُنزل الناس منازلهم، وألا نبخس الناس أشياءهم. فيا أخي المسلم ليس النجاح في الحوار والمناظرة مرهونًا بإسقاطك لشخصية الطرف الآخر الذي تناظره، ولا إسقاطك لشخصيته يعني أنك نجحت في المناظرة؛ بل ربما يرتد الأمر عليك، ويكون هذا دليلاً على إفلاسك وعجزك، وأنك لا تملك الحجة؛ فاشتغلت بالمتكلِّم عن الكلام، والناس اليوم تعي وتعقل، ولو أنك سندت قولاً من الأقوال الباطلة الزائفة حينًا من الزمن بالتهويش، واللجاجة، فإن هذا القول الذي لا يسنده الحق سرعان ما ينهار ويتهاوى بمجرد غفلة السَّاعين به، أو انشغالهم عنه بغيره، فيموت وينساه الناس.

ولهذا قال النبي ﷺ: «ليس المؤمن بالطعَّان، ولا اللعَّان، ولا الفاحش، ولا البذيء»(1)، فالمؤمن ليس باللعان، ولا بالطعان في الناس وأعراضهم، ونياتهم ومقاصدهم وأحوالهم، ولا بالفاحش، ولا بالبذيء، وفي البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه قال: «لم يكن النبي ﷺ فاحشًا ولا متفحِّشًا، وكان يقول: إن من خياركم أحسنكم أخلاقًا»(2)، فهذا حال النبي ﷺ وصفته، وهذا كلامه في وصف المؤمن، أنه لا يحب الفحش ولا التفحش.

ومن بديع احترام رأي الآخرين، ما ينقل عن الإمام مالك: أنه لما أَلَّف الموطأ، ومكث أربعين سنة يؤلفه، وقرئ عليه آلاف المرات، وعرضه على سبعين من العلماء فأقروه عليه، وتعب فيه أيما تعب، ومع ذلك لما بلغ الخليفة المنصور كتاب مالك وأعجبه، وقال: إنا نريد أن نعممه على الأمصار، ونأمرهم باتباعه؛ قال له الإمام مالك: «لا تفعل -رحمك الله- فإن الناس سبقت منهم أقاويل، وسمعوا أحاديث ورووا روايات، وأخذ كل قوم بما سبق إليهم وما أتوا به، وعملوا بذلك ودانوا به وكل ذلك من اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ، ثم من بعدهم من التابعين، ورد الناس عما اعتقدوه ودانوا به أمر صعب شديد، فدع الناس وما هم عليه، ودع أهل كل بلد وما اختاروا لأنفسهم»(3)، فلا حاجة إلى اللجوء إلى تبكيت الشخص الذي تخاصمه وإحراجه والسخرية منه.

المبحث الثاني: آدابُ الحوار العِلمية

ونعني بها الآداب التي تتعلق بمادة الحوار الأصلية، وموضوعاتها الأساسية، والضوابط والأصول العلمية، من حيث إيراد المعلومات وترتيبها وتقريرها أو ردها، وما يتعلق بذلك من أسس يجب اتباعها أو محاذير يجب اجتنابها حتى ينضبط الحوار ويحقق نتيجته، وأهم هذه الآداب ما يلي:

1. العلم:

العلم شرط أساس لنجاح الحوار وتحقيق غايته، وبدونه لا ينجح حوار، ويهدر الوقت ويضيع الجهد، فيجب على المحاور ألا يناقش في موضوع لا يعرفه، ولا يدافع عن فكرة لم يقتنع بها، فإنه بذلك يسيء إلى الفكرة والقضية التي يدافع عنها، ويعرض نفسه للإحراج وعدم التقدير والاحترام، ومن أنواع العلم المطلوب توفرها فيمن يحاور في أي قضية ما يأتي:

- العلم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.
- العلم بما ينقض الرأي المخالف للصواب، ومعرفة الردود والأجوبة القوية التي يمكن أن تواجه بها الشبهات والاعتراضات التي يثيرها الخصم.
- العلم بالطرف الآخر من حيث منزلته ومقدار علمه ومعرفة ظروفه وأحواله.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في تأكيد ضرورة العلم وأهميته لمن يتصدى للحوار: «وقد ينهون عن المجادلة والمناظرة، إذا كان المناظر ضعيف العلم بالحجة وجواب الشبهة، فيخاف عليه أن يفسده ذلك المضل، كما ينهى الضعيف في المقاتلة أن يقاتل علجًا قويا من علوج الكفار، فإن ذلك يضره ويضر المسلمين بلا منفعة»(4).

2. البدء بالنقاط المشتركة وتحديد مواضع الاتفاق:

بين كل متناظرين مختلفين حد مشترك من النقاط المتفق عليها بينهما والتي يسلم بها الطرفان، والمحاور الناجح هو الذي يظهر مواطن الاتفاق.

(1) الترمذي، السنن، كتاب الذبائح، باب ما جاء في اللعنة، حديث رقم 1948. والبخاري، الأدب المفرد، حديث رقم 312، والحديث صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم 5381.

(2) البخاري، الصحيح الجامع، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ. ينظر: العيني، عمدة القاري 16/ 155، حديث رقم 3559.

(3) الذهبي، سير أعلام النبلاء 8/ 61.

(4) يراجع: زمزمي، الحوار آدابه وضوابطه، ص 277 وما بعدها.

والبدء بالأمور المتفق عليها يساعد على تقليل الفجوة، ويوثق الصلة بين الطرفين، ويعيد الحوار هادئا هادفًا، أما إذا كان البدء بذكر مواضع الخلاف وموارد النزاع فإن فرص التلاقي تقل، وفجوة الخلاف تتسع، كما أنه يغير القلوب، ويثير النفوس للغلبة دون النظر إلى صحة الفكرة، فالبدء بالنقاط المشتركة يساعد على تحرير محل النزاع، وتحديد نقطة الخلاف، ويفيد في حسن ترتيب القضايا والتدرج في معالجتها.

من المصلحة ألا تبدأ الحوار بقضية مختلف فيها؛ بل ابدأ بموضوع متفق عليه، أو بقاعدة كلية مسلَّمة أو بدهية، وتدرج منها إلى ما يشبهها أو يقاربها، ثم إلى مواضع الخلاف، فمما يذكر عن سقراط -وهو أحد حكماء اليونان- أنه كان يبدأ مع خصمه بنقاط الاتفاق بينهما، ويسأله أسئلة لا يملك الخصم أن يجيبه عليها إلا بنعم، ويظل ينقله إلى الجواب تلو الآخر، حتى يرى المناظر أنه أصبح يُقر بفكرة كان يرفضها من قبل. ومن شواهد ذلك ما ذكره الله ﷻ في حوار إبراهيم لقومه حيث قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عليهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ. إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ. قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ. قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ. أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ. قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ. قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ. أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ. إِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾[1]، فهذه الأسئلة من إبراهيم عليه السلام فيها تقريرهم بقضايا متفق عليها وهي بيان عجز الآلهة عن النفع والضر، ومن ثم يترتب عليها بيان بطلانها وعدم صلاحيتها بل عداوتها وهجرها، وبيان المستحق الوحيد للعبادة وهو رب العالمين.

ومثل ذلك أيضا حديث حجة الوداع من رواية عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه، ذكر النبي ﷺ قعد على بعيره، وأمسك إنسان بخطامه -أو بزمامه- قال: «أي يوم هذا؟»، فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه سوى اسمه، قال: «أليس يوم النحر؟» قلنا: بلى، قال: «فأي شهر هذا؟» فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: «أليس بذي الحجة؟» قلنا: بلى، قال: «فإن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم، بينكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا..» الحديث[2]. قال النووي: هذا السؤال والسكوت والتفسير أراد به التفخيم والتقرير والتنبيه على حرمة هذا الشهر والبلد واليوم[3]، وواضح من أسئلته ﷺ أنها واضحة الإجابة وموضع اتفاق بين جميع السامعين، ولكن أراد أن ينتقل منها إلى أمر آخر وهو بيان حرمة المسلم فرتبها على تلك النقاط المشتركة والقضايا المتفق عليها.

ولعله من خلال النماذج السابقة تتبين أهمية البدء بالنقاط المشتركة ومواضع الاتفاق، لتوفير الوقت والجهد، ولتهيئة نفسية الخصم، ولترتيب القضايا على بعضها وتحرير محل النزاع، ولذلك ينبغي أن يحرص المحاور على أن يلقي على الطرف الآخر أسئلة يكون جوابها «نعم» ويتجنب ما يكون جوابه النفي.

3. التدرج والبدء بالأهم:

إن المحاور الناجح هو الذي يصل إلى هدفه بأقرب طريق، ولا يضيع وقته فيما لا فائدة منه، ولا علاقة له بأصل الموضوع، فمعرفة الأهم والبدء به يختصر الطريق، وأوضح الأمثلة على ذلك بدء الأنبياء -صلوات الله عليهم وسلامه- بأهم قضية وأكبر غاية، وهي الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له: ﴿اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾[4]، قالها نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام، ومع تأكيد هذا الأدب -البدء بالأهم- فقد يحتاج المحاور إلى أن يتدرج ويتنازل مع خصمه، ويسلم له ببعض الأمور تسليمًا مؤقتًا حتى يصل إلى القضية الأم والمسألة الأهم.

ومن نماذج هذا الأسلوب ما اتبعه إبراهيم مع قومه ليصل بهم إلى التوحيد وإبطال الشرك، كما قال سبحانه: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عليهِ اللَّيْلُ رأى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾[5]، وهذا على وجه التنزل مع الخصم، أي ربي -بزعمكم- ﴿فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ فبطلت عبادة الكواكب، ثم فعل مثل ذلك لما رأى القمر ولما رأى الشمس حتى وصل بهم إلى حد إبطال ما هم عليه من الشرك، وهذا الأسلوب من الخليل عليه السلام وقوله ﴿هَذَا

(1) سورة الشعراء، الآيات 69-77.

(2) البخاري، الصحيح الجامع، كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ: «رب مبلغ».

(3) النووي، شرح صحيح مسلم 11/ 169.

(4) سورة الأعراف، الآيات 59، 65، 73، 85.

(5) سورة الأنعام، الآية 76.

رَبِّي﴾ قول من ينصف خصمه مع علمه بأنه مبطل، فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه، لأن ذلك أدعى إلى الحق وأنجى من الشغب، ثم يكر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة[1]. وقريب منه ما فعله النبي ﷺ مع كفرة قريش المعاندين والمكذبين بالقرآن وبالتوراة حيث قال: ﴿قل فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ الله هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[2]، فهو يسير معهم خطوة في الإفحام والإحراج، ويتدرج بهم ليبين كذبهم وعنادهم فكأنه يقول لهم: إن لم يكن يعجبكم القرآن، ولم تكن تعجبكم التوراة فإن كان عندكم من كتب الله ما هو أهدى من القرآن والتوراة فأتوا به أتبعه[3].

4. الالتزام بموضوع الحوار:

إن من أهم الآداب التي يتسم بها المحاور: الموضوعية في الحوار، ونعني بها رعاية الموضوع، وعدم الخروج عنه، واتباع المنهج العلمي، والحجة الصحيحة، وقبول الرأي الآخر إذا كان مقنعًا، والاعتراف للخصم بالسبق في بعض الجوانب التي لا يسع العاقل إنكارها، والتحاكم إلى المنطق السليم. ومن المهم جدا أن يكون المحاور عالما بموضوع الحوار فلا يدفعه الجهل والمزاج في سباحة بحر لم يُكلّف بسباحته، فذلك يؤدي إلى هلاكه في العاجل والآجل، وقد يضيّع الحق بسبب جهله بموضوع الحوار، فالعلم بالشيء بصيرة به، وقد قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى الله عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ الله وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[4].

ومن الموضوعية: عدم الهروب من الموضوع الأساسي إلى غيره. إن بعض الناس إذا أحرجته في موضوع هرب منه إلى موضوع آخر، فهو ينتقل من موضوع إلى موضوع، وكلما أُحرج في نقطة انسحب منها إلى غيرها، ونقل الحديث نقلة بعيدة أو قريبة، كذلك من الموضوعية: عدم إدخال موضوع في آخر وعدم النيل من المتحدث باتهامه في نيته أو الكلام على شخصه وتجنب الكذب في الحديث، فإن المناظر قد يكذب أحيانًا، ومثل الكذب وأخوه بتر النصوص، وهو أن تنقل نصًّا طويلاً، فتجتزئ الكلام الذي يصلح لك، ويدل على ما تريد، وتترك الباقي، فهذا ليس من الأمانة، بل عليك أن تنقل الكلام كاملاً حتى يشاركك الناس فيما استنتجته، فإما أن يقرُّوك، وإما أن يخالفوك في الفهم.

– كما أن من الموضوعية: إذا لم تعرف مسألة ما أن تقول: لا أدري، وإذا ترك العالم «لا أدري» أصيبت مقاتله، كما كان السلف يقولون. ويجب على العالم أن يعلم تلاميذه وطلابه قول «لا أدري» حتى يلجؤوا إليها فيما لا يعلمون.

– ومن الموضوعية: التوثيق العلمي، يعني إذا استدللت فلا تستدل بشائعات أو ظنون أو أوهام استقرت في عقلك أو في عقل من أمامك من الناس، بل استدل بالنصوص، والأدلة الواضحة الثابتة، والإحصاءات الدقيقة، أما مجرد الظنون والأوهام والشائعات، فإنها لا تصلح أدلة.

وليس من الموضوعية: الاشتغال بالأيمان المغلظة، والله ﷻ ذمَّ الذين يكثرون من الأيمان، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ. هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ. مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾[5]، فهذا دعيٌّ ملصقٌ في أهل العلم وليس منهم، وملصق في قومه وليس منهم، ومع ذلك يكثر من الأيمان الكاذبة، أو قد لا تكون كاذبة لكن اليمين ليس حجة، فكونك تحلف بالله العظيم الذي لا إله إلا هو أن هذا هو الحق، فهذا لا يقدِّم ولا يؤخِّر[6].

5. الالتزام بمكان وزمان الحوار:

يذكر أهل العلم أن المُحاورات والجدل ينبغي أن يكون في خلوات محدودة الحضور؛ قالوا: وذلك أجمع للفكر والفهم، وأقرب لصفاء الذهن، وأسلم لحسن القصد، وإن في حضور الجمع الغفير ما يحرك دواعي الرياء، والحرص على الغلبة بالحق أو بالباطل، ومما استدل به على ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لله مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾[7]، قالوا: لأن الأجواء الجماهيرية والمجتمعات المتكاثرة تُغطي الحق، وتُشوِّش الفكر، والجماهير في الغالب فئات غير مختصة؛ فهي أقرب إلى الغوغائية والتقليد الأعمى، فَيَلْتَبِسُ الحق، أما حينما يكون الحديث مثنى وفرادى وأعدادا متقاربة يكون أدعى إلى استجماع

(1) انظر: الزمخشري، الكشاف 2/ 365.
(2) سورة القصص، الآية 49.
(3) انظر: قطب، في ظلال القرآن 5/ 2699.
(4) سورة يوسف، الآية 108.
(5) سورة القلم، الآيات 10-12.
(6) انظر: العودة، أدب الحوار، ص 51 وما بعدها.
(7) سورة سبأ، الآية 46.

الفكر والرأي، كما أنه أقرب إلى أن يرجع المخطئ إلى الحق، ويتنازل عما هو فيه من الباطل أو المشتبه.

بخلاف الحال أمام الناس؛ فقد يعزّ عليه التسليم والاعتراف بالخطأ أمام مؤيّديه أو مخالفيه، ولهذا وُجّه نبينا محمد ﷺ في هذه الآية أن يخاطب قومه بهذا، لأن اتهامهم له كانت اتهامات غوغائية، كما هي حال الملأ المستكبرين مع الأنبياء السابقين.

كما أن اختيار الوقت المناسب للحوار وحسن استغلال الفرص التي تسنح للمحاور له أهمية كبرى في ضمان سير الحوار على أصوله وبالضوابط اللازمة؛ فقد يمكن للمحاور أن يحدد هو والطرف المقابل موعدا للتحاور فيه حول قضية ما، ففي مثل هذه الحالة عليهما أن يحسنا اختيار الوقت مع مراعاة الظروف النفسية والعقلية والجسدية لكل منهما وإتاحة الزمن الكافي لمناقشة الموضوع، فلا ينبغي اختيار وقت إجهاد وإرهاق أو زمن نوم أو طعام أو نحو ذلك، أو وقت ضيق لا يسع فيه الحوار ولا تتم فيه المناقشة، فيؤدي ذلك إلى قطع الحوار قبل انتهائه، وبتره قبل تمامه، فالمحاور إذن بين أن يختار وقتا مناسبا للحوار، يتحكم فيه بدءا وانتهاء، ويراعى فيه الظروف المحيطة من جميع الجوانب، وبين أن يستغل فرصة سانحة لا يجوز له أن يتأخر عنها، ولا ينبغي أن تفوته، فقد لا تسنح له مرة أخرى.

- فمن شواهد الحالة الأولى -وهي اختيار الوقت المناسب للحوار- الموعد الذي حدده موسى عليه السلام للتحدي والمناظرة مع السحرة، فقد تحكم في اختيار الوقت المناسب: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾[1]، فاختار أوضح فترة من النهار وأشدها تجمعا في يوم العيد لا في الصباح الباكر حيث لا يكون الجميع قد غادروا البيوت، ولا في الظهيرة فقد تعوقهم حرارة الجو، ولا في المساء حيث يمنعهم الظلام من التجمع أو من وضوح الرؤيا[2].

- ومن شواهد الحالة الثانية -وهي حسن استغلال الفرصة المتاحة- ما فعله يوسف عليه السلام[3]، حين أدخل السجن ومعه فتيان، فسألانه عن تأويل الرؤيا التي رأياها، فانتهز يوسف هذه الفرصة ليبث بين السجناء عقيدته الصحيحة،

(1) سورة طه، الآية 59.

(2) انظر: قطب، في ظلال القرآن 4/ 2340.

(3) المرجع السابق 4/ 1988-1989.

فكونه سجينا لا يعفيه من تصحيح العقيدة الفاسدة والأوضاع الفاسدة، فقد كان سؤال الفتيين هو: ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[4]، فيطمئنهما يوسف إلى مقدرته على تأويل رؤياهما، بما آتاه ربه من العلم، جزاء توحيده وتجرده لعبادة الله وحده، وهجر الشركاء والأنداد هو وآباؤه من قبله ﴿قَالَ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ. وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللّهِ مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ الله علينَا وَعلي النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ﴾[5]، ومن ثم ينتقل بهم يوسف عليه السلام بلطف ولين فيفصح عن عقيدته ودعوته، ويكشف عن فساد اعتقادهما واعتقاد قومهما: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ الله الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ. مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ الله بِهَا مِن سُلْطَانٍ..﴾ الآيات[6].

- ومن استغلال الفرصة قبل فواتها وإفادة العلم وقت الحاجة إليه في مناسباته، إذ يكون أبلغ في التأثير، ومن صور توقيت مناسبة المجادلة: ما حدث من أبى شريح العدوى[7]، حيث قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة: ائذن لي أيها الأمير أن أحدثك قولا قام به رسول الله ﷺ للغد من يوم الفتح، فسمعته أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي حين تكلم به، إنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما ولا يعضد بها شجرة.. الحديث»[8]، إلى غير ذلك من الأمثلة المتعددة والمختلفة، والمقصود من ذلك كله أن المحاور عليه أن يختار المكان والزمان المناسبين للحوار وعليه أيضا تقدير

(4) سورة يوسف، الآية 36.

(5) سورة يوسف، الآيتان 37-38.

(6) سورة يوسف، الآيتان 39-40.

(7) قال الحافظ ابن حجر ما ملخصه: المشهور من اسمه أنه خويلد بن عمرو أسلم قبل الفتح وحمل بعض ألوية قومه، وسكن المدينة ومات بها سنة ثمان وستين. ينظر: العسقلاني، فتح الباري 1/ 198.

(8) البخاري، الصحيح الجامع، كتاب العلم، باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب.

الظروف المحيطة، واستغلال الفرص التي تسنح لتصحيح المفاهيم وتوضيح الحقائق.

6. الدليل:

إن أهم ما ينجح الحوار وأول ما ينبغي استحضاره والعناية به وهو من مقتضيات العلم -الذي هو شرط في الحوار- الدليل، ولا بد من إثبات صحة الدليل، كما قيل: «إن كنت ناقلا فالصحة، أو مدعيًا فالدليل». ولا يحسن بالمحاور أن يستدل بأدلة ضعيفة أو حجج واهية. فدليلان قويان لا يمكن الرد عليهما أفضل من سوقهما مع ثلاثة أدلة أخرى يمكن الأخذ والرد فيها، إذ ربما يستغلها الطرف الآخر، فيضعف الفكرة ويسيء إلى موقف صاحبها بسبب الأدلة الضعيفة، ومتى وجد الدليل وثبتت صحته، فلا بد من صحة دلالته على المطلوب، ولا بد من ترتيب الأدلة حسب قوتها وصراحتها في الدلالة على المقصود.

ومن الأمور المهمة في هذا الشأن أن يبادر المحاور بتقديم الدليل والبرهان والحجج والدلالات؛ ومن ذلك تقديم الأنبياء -عليهم السلام- ومبادرتهم بطرح ما معهم من البينات فهذا صالح عليه السلام يبدأ دعوة قومه إلى توحيد الله مقدما معه البينة والبرهان قال تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً﴾(1)، ومثله فعل شعيب وموسى وهارون عليهم السلام، ومن أمثلة ذلك في السنة ما ذكره أبو هريرة رضي الله عنه قال: لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو بكر رضي الله عنه وكفر من كفر من العرب فقال عمر رضي الله عنه: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا «لا إله إلا الله»، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله»؟(2)، فيقدم عمر رضي الله عنه الحجة والدليل عند إبداء رأيه واعتراضه على ما رآه أبو بكر رضي الله عنه وهناك أمثله كثيرة غير ما ذكرنا نتركها للاختصار، ولأن القضية لا تحتاج إلى مزيد إيضاح.

7. ضرب الأمثلة:

إن المحاور الناجح هو الذي يحسن ضرب الأمثلة، ويتخذها وسيلة لإقناع محاوره، إذ إن الأمثلة الجيدة تزيد المعنى وضوحًا وبيانًا، ولما للأمثلة من دور كبير في تقريب المعاني والإقناع بها، فقد اعتنى القرآن بها كثيرًا، وأشار إلى أهميتها وبيان هدفها قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(3)، ويقول سبحانه: ﴿وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾(4)، وقد ذكر في القرآن عدد كبير من الأمثلة في مواضع مختلفة وبأساليب متنوعة منها ما ذكر فيه لفظ المثل وهذه تزيد على العشرين مثلا ومنها ما يذكر المثل بصيغة التشبيه ونحوها، ويلاحظ تنوع الموضوعات التي يضرب لها المثل وتعدد الجوانب التي ترد فيها، ففي جانب التوحيد وبيانه وإظهار ثمرته وقوته يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾(5)، وفي المقابل وفي التحذير من الشرك والكفر ومتعلقاته يقول الله عز وجل: ﴿وَمَثلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾(6)، وفي جانب الإنكار على اليهود تركهم العمل بما عندهم من العلم والكتاب يشبههم بقبيح من الحيوانات: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(7).

وفي جانب التحذير من النفاق والإنكار على المنافقين يقول تعالى عنهم: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ. صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ. أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ. يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(8).

(1) سورة الأعراف، الآية 73.
(2) البخاري، الصحيح الجامع، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة.

(3) سورة الحشر، الآية 21.
(4) سورة إبراهيم، الآية 25.
(5) سورة إبراهيم، الآيتان 24-25.
(6) سورة إبراهيم، الآية 26.
(7) سورة الجمعة، الآية 5.
(8) سورة البقرة، الآيات 17-20.

والأمثلة غير ذلك كثيرة في كتاب الله، وفي السنة أكثر من ذلك فقد كان النبي ﷺ يكثر من ضرب الأمثلة وتقريب المعاني بالأمور المحسوسة، فهو أحيانا يطرح مثلا من عنده ثم يربطه بمعنى عظيم كما في قوله ﷺ: «أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا، ما تقول ذلك يبقي من درنه؟» قالوا: لا يبقي من درنه شيئا، قال: «فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا»[1].

وقد لخص الحافظ ابن حجر -رحمه الله- بعض فوائد ضرب الأمثلة في تعليقه على حديث النخلة وتشبيهها بالمؤمن فقال: وفيه ضرب الأمثال والأشباه لزيادة الأفهام، وتصوير المعاني لترسخ في الذهن، ولتحديد الفكر في النظر في حكم الحادثة[2].

8. الرجوع إلى الحق والتسليم بالخطأ:

إن من أهم الآداب والصفات التي يتميز بها المحاور الصادق أن يكون الحق ضالته، فحيثما وجده أخذه، والعاقل هو الذي يسلم بخطئه، ويعود إلى الصواب إذا تبين له، ويفرح بظهوره، ويشكر لصاحبه إرشاده ودلالته إليه.

والتسليم بالخطأ صعب على النفس، خاصة إذا كان في مجمع من الناس، فهو يحتاج إلى تجرد لله وصدق وإخلاص، وقوة وشجاعة، فعلى المحاور أن يعلم أنه بشر يخطئ ويصيب.

فليكن مقصودك أيها المحاور إيصال الحق إلى من تحاوره وتعريفه بدين الله وبشريعة الله، فإذا أوصلت إليه ذلك فإنه حينئذ قد انتهى دورك وواجبك أما هدايته وإلزامه بالحق فهذا ليس من شأنك وليس مما تطالب به شرعا، فإن الهداية بيد الله يهبها من يشاء قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عليكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾[3]، وحينئذ فمقصودنا إرضاء رب العالمين من خلال إيصال الحق إلى المحاور لنا، واعتراف المحاور بأخطائه يساعد الخصم أيضا في الرجوع إلى الحق والاعتراف بأخطائه هو، كما أن البدء بانتقاد النفس والاعتراف بأنها ليست معصومة من الأخطاء يهيئ نفسية الخصم إلى سماع الانتقادات الموجهة إليه وقبول ذلك بصدر رحب، ويمكن أن نمثل لما سبق بما جاء من حوار بين الله تعالى وملائكته بشأن خلق آدم عليه السلام وذريته حيث يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ. وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ على الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ. قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ العليمُ الْحَكِيمُ﴾[4].

قال الإمام الطبري -رحمه الله- في شرح الآيات ما نصه: فلما اتضح لهم موضع خطأ قيلهم، وبدت لهم هفوة زلتهم، أنابوا إلى الله بالتوبة فقالوا: ﴿سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا﴾ فسارعوا الرجعة من الهفوة، وبادروا الإنابة من الزلة كما قال نوح حين عوتب في مسألته فقيل له: ﴿فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾[5]، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾[6]، ومثل هذا ما جاء في حواره سبحانه مع آدم وحواء وما وقع منهما من معصية، ثم ما تلاها من رجوع إلى الحق وتسليم بالخطأ.

ومن صور الاعتراف بالخطأ والرجوع عنه، ما وقع من إخوة يوسف عليه السلام بعد أن فعلوا به ما فعلوا، فلما ضاق بهم الأمر ومسهم الضر وبلغوا حدا من الاسترحام والضيق والانكسار ذكرهم يوسف بماضيهم الذي يعرفونه وحدهم ولم يطلع عليه إلا الله: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ﴾[7]، عندها لمع في نفوسهم خاطر من بعيد: ﴿قَالُواْ أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَـذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللهُ علينَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[8]، عندها لم يكن لهم إلا التسليم بالخطأ ﴿قَالُواْ تَاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ علينَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾[9].

9. التحدي والإفحام وإقامة الحجة على الخصم:

إن الهدف من الحوار هو الوصول إلى الحق، فعلى

(1) البخاري، الصحيح الجامع، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة.
(2) العسقلاني، فتح الباري 1/ 147.
(3) سورة البقرة، الآية 272.
(4) سورة البقرة، الآيات 30-32.
(5) سورة هود، الآية 46.
(6) سورة هود، الآية 47.
(7) سورة يوسف، الآية 89.
(8) سورة يوسف، الآية 90.
(9) سورة يوسف، الآية 91.

المحاور أن يتجنب أسلوب الإفحام والإسكات، لأنه يترك في نفس المحاور حقدًا وغيظًا وكراهية.

ولكن يلجأ المحاور إلى التحدي والإفحام مع من استطال وتجاوز حدود الأدب، وطغى وظلم وعادى الحق وكابر مكابرة بينة ولجأ إلى الاستهزاء والسخرية، ونحو ذلك وفي مثل هؤلاء جاءت الآية الكريمة: ﴿لَا يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ﴾[(1)]، ولما أمر الله ﷻ بالتلطف في المناقشة -حتى مع الكفار- استثنى حالة إذا ما ظلموا وبغوا، فلا ينفع معهم الرفق واللين، بل يستعمل معهم الغلظة والشدة: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾[(2)]، فعلى المحاور قبل أن يعلن التحدي أو يقبله أن يتأكد من قدرته على إقامة الحجة وإظهار الحق، ولا سيما إن كان الحوار سيتم على ملأ من الناس، فلا يجوز له أن يخذل الحق أو يقصر في بيانه، فيبدو ضعيفا سقيما فيغتر الناس بالباطل وانتفاشه، ومن الشواهد في التحدي والإفحام وإقامة الحجة على الخصم عندما جادل النمرود إبراهيم في ربه، بعد أن أوتي الملك، فكان ذلك سبب استعلائه وتكبره، وطلب الأدلة والبراهين على وجود الله ﷻ، استحق الإسكات والتحدي، وأن يبهت ويفحم، بعد أن ادعى شيئا من خصائص الألوهية والربوبية قال تعالى: ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[(3)]، وبذلك وقف وانقطعت حجته، واضمحلت شبهته وبان كذب دعواه، والحمد لله رب العالمين. إلى غير ذلك من الأمثلة والنماذج التي تثبت قيمة هذا الأسلوب وأهميته ودوره، ومدى الحاجة إليه وخاصة مع ألد الخصام، من المجادلين المعاندين.

والحقيقة أن الآداب العلمية للمحاور كثيرة ويطول الحديث بنا إذا قمنا باستقصائها وشرحها ويمكن أن يضاف إلى ما ذكر من آداب علمية على وجه الإجمال ما يلي:

- العدول عن الإجابة باستخدام المعاريض وأسلوب الحكيم.
- الرد على الشبه بما يناسبها.
- تأكيد القضية وتقريرها.
- الوضوح والبيان.
- الصدق والأمانة.
- الاحتمالات.
- التثبت.

وبعد هذه الجولة الشيقة في آداب الحوار النفسية والعلمية أقول:

ما أجمل وما أعظم الدين الإسلامي في جميع جوانبه إذ لم يترك خيرا إلا ودل عليه، ولا شرا إلا وحذر منه، والأدب في الحوار لا يقل أهمية عن الحوار نفسه، إذ فقدان الأدب وعدم مراعاة الظروف والمواقف قد يؤدي إلى نتائج سلبية، ويزيد التنافر والاختلاف بين المتحاورين أو يقضي على الحوار ويهدمه من أساسه، كما نحب التنبيه إلى أن نصوص الكتاب والسنة قد احتوت على أقوم الطرق، وأهدى السبل، وأفضل المناهج في الحوار وآدابه، وعلى كل من أراد الحوار أن يسلك سبيلها ليصل إلى مقصوده بأيسر طريق وأخصره.

ومن خلال التعايش مع هذه الآداب المتعددة للحوار تبين أنها كثيرة وجوانبها متباينة، فعلى المحاور أن يجتهد في تحقيق والتزام ما يمكنه منه وألا تصده كثرتها عن الاعتناء بها ومراعاتها أو تؤدي به إلى اليأس منها وإهمالها ولكن عليه أن يجتهد في ذلك ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾[(4)].

الخاتمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، بفضله وتوفيقه تتم الصالحات، وَالصلاة والسلام على المبعوثِ رحمةً للعالمين، نبينا محمدٍ سيد المتحاورين وعلى آله وأصحابِهِ أجمعينَ. وبعد:

يعد الحوار سبيل الإقناع، ومفتاح القلوب، وأسلوب التواصل والتفاهم، ووسيلة التعارف والتآلف، ومنهج الدعوة والإصلاح، ومسلك التربية والتعليم، ومجمَعُ التقارب والالتقاء، وسَنَنُ الأنبياءِ عليهم السلام، مع أقوامهم لإقامة الحجج ودفع الشُّبه.

أقول: بعد الكتابة في موضوع «مجالات الحوار وآدابه في ضوء القرآن الكريم» تبين لي من خلاله أهمية الحوار، وبيان حوار أهل الإسلام بعضهم البعض وحوار غير المسلمين والآداب النفسية والعلمية للمحاور في ضوء القرآن الكريم، تأصيلا

(1) سورة النساء، الآية 148.
(2) سورة العنكبوت، الآية 46.
(3) سورة البقرة، الآية 258.
(4) سورة البقرة، الآية 286.

لمنهج الحوار ورجوعا به إلى مقاصده الكريمة وضوابطه الأصيلة، حتى يؤتي ثماره ويؤدي دورَه، ولا سيَّما في هذا العصر الذي تشتدُّ فيه الحاجة إلى الحوار الجاد الصريح الذي يستوعب جميع القضايا، حوار الحكمة والموعظة الحسنة، حوار التفاهم والتعاون، حوار التعارف والتواصل في شتى جوانب حياتنا الخاصة والعامة في بيوتنا ومدارسنا ومساجدنا ومنتدياتنا وسائر مجتمعاتنا.

ولأهمية الحوار لكونه آلية مثلى لاستجلاء الحقائق حرص كثير من أئمة السلف على إنشاء كتب قيمة حول موضوع الحوار مثل كتاب «البرهان في الخلاف» لأبي المظفر المروزي ،و»تجريد المسائل اللطاف في الائتلاف والخلاف» لنور الدين الشافوري، و»تهذيب الأخلاق بذكر مسائل الخلاف والوفاق» لمحمد الأسدي القدسي، وهناك ما لا يقل عن مائة وخمسين كتابا من هذا النوع في التأسيس لآلية الحوار وترقيتها والنهوض بها؛ مما يدل على أهميتها الحيوية في بناء المعرفة الإسلامية.

فالحوار هو الأسلوب الهادئ والطريق السهل للإقناع والتقارب والتنسيق، وهناك حاجة إلى تأصيل الحوار تأصيلا شرعيا والعودة به إلى المنبع الصافي والمورد العذب الشافي، الكتاب والسنة، مع الاقتداء بسلفنا الصالح وسائر الدعاة والمصلحين والمجددين، والآن في ظل صحوة المسلمين والتفاتهم إلى أمر دينهم وحقائق عصرهم المتفجر معرفيا وإعلاميا فإن آلية الحوار تكتسب مزيدا من الأهمية في الذهن الإسلامي، وما إقامة الكثير من المؤتمرات والندوات واللقاءات متعددة الأطراف إلا دليل على استشعار المسلمين وأهل الديانات والثقافات الأخرى لأهمية الحوار.

نتائج البحث وثمراته وتوصياته

بعد التعايش مع هذا البحث أقول: إن من نتائجه وثمراته ما يلي:

- بيان أن الحوار أسلوب قرآني نبوي ناجح ومثمر يأسر القلوب ويحركها نحو الفضيلة.
- للحوار مجالات متعددة سواء بين المسلمين بعضهم البعض أو بين المسلمين وغيرهم من أرباب الديانات الأخرى ينبغي الوقوف عليها واتباع المنهج القرآني فيها.
- للحوار آداب وأخلاق لا بد من تعرفها والتحلي بها؛ لأنها مستنبطة من واقع السنة النبوية ومدعمة ببعض الآيات القرآنية.
- الحوار حاجة علمية وضرورة فكرية بهدف اللحاق بركب العالم المتقدم، وغياب الحوار أو رفضه يعني زيادة في التخبط والتخلف والعزلة.

وأوصي من خلال كتابتي في هذا الموضوع المثمر وأقترح تنظيم ندوات ودورات علمية وثقافية لإعداد المحاورين المسلمين وغيرهم إعدادا يجعلهم مؤهلين لتحمل مسؤولياتهم، وقادرين على متابعة التطورات السياسية والثقافية، وتقديم مقترحات لتطوير العلاقة بين المسلمين بعضهم البعض وبينهم وبين غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى لما فيه مصلحة الإنسانية.

وفي النهاية أسأل الله –العلي القدير– أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم غير منقوص ولا مدخول، وأن يغفر به لنا ولوالدينا ولأصحاب الحقوق علينا وللمؤمنين والمؤمنات، وأن ينفع به قارئه، وأن يكون في ميزان حسناتنا يوم القيامة، كما نسأله أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل وأن ينفعنا بما علمنا إنه تعالى على كل شيء قدير وبالإجابة جدير وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المراجع

ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي. تحقيق: الطيب، أسعد محمد. 1417هـ/ 1997م. تفسير القرآن العظيم. مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار الباز، الطبعة الأولى، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة، الرياض، المملكة العربية السعودية.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. 1385هـ. زاد المسير في علم التفسير. الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني. 1976م. الرد على المنطقيين. بدون رقم الطبعة، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الظاهري الأندلسي. 1400هـ. الإحكام في أصول الأحكام. بدون رقم الطبعة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان.

ابن حميد، صالح بن عبد الله. 1415هـ/ 1994م. أصول الحوار وآدابه في الإسلام. بدون رقم الطبعة، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.

ابن عاشور، محمد الطاهر. 1984م. تفسير التحرير والتنوير. بدون رقم الطبعة، الدار التونسية للنشر، تونس.

ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي. تحقيق: سعد، طه عبد الرؤوف. 1973م. إعلام الموقعين عن رب العالمين. بدون رقم الطبعة، دار الجيل، بيروت، لبنان.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي. 1401هـ. تفسير القرآن العظيم. بدون رقم الطبعة، دار الفكر، بيروت، لبنان.

ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني. تحقيق: عبد الباقي، محمد فؤاد. د.ت. سنن ابن ماجه. بدون رقم الطبعة، دار الفكر، بيروت، لبنان.

ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم الأفريقي المصري. 1414هـ. لسان العرب. الطبعة الثالثة، دار صادر، بيروت، لبنان.

أبو داود السجستاني، سليمان بن الأشعث الأزدي. 1389هـ. سنن أبي داود. بدون رقم الطبعة، دار الحديث، بيروت، لبنان.

أبو زهرة، محمد. 1987م. زهرة التفاسير. بدون رقم الطبعة، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر.

أبو زيد، محمد عبد الحميد. 1987م. السلام في الإسلام. بدون رقم الطبعة، دار الوفاء، القاهرة، مصر.

أحمد، ابن حنبل. تحقيق: الأرناؤوط، شعيب. 2001م. المسند. الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

آل نواب، عبد الرب نواب الدين. د.ت. وسطية الإسلام ودعوته إلى الحوار. تاريخ الاسترجاع 1-5-2012م، على الرابط الإلكتروني:-
http://cutt.us/9hK8m

الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي. د.ت. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. بدون رقم الطبعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي. تحقيق: البغا، مصطفى ديب. 1407هـ/ 1987م. الجامع الصحيح المعرف بـ «صحيح البخاري». الطبعة الثالثة، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، لبنان.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود. تحقيق: النمر، محمد عبد الله، وضميرية، عثمان جمعة، والحرش، سليمان مسلم. 1414هـ. معالم التنزيل. الطبعة الثانية، دار طيبة، المملكة العربية السعودية.

البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر. تحقيق: المهدي، عبد الرزاق غالب. 1415هـ/ 1995م. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. بدون رقم الطبعة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

التبريزي، الخطيب. 1414هـ/ 1994م. شرح ديوان أبي تمام. الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان.

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى السلمي. تحقيق: شاكر، أحمد محمد. د.ت. سنن الترمذي. بدون رقم الطبعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

الجزائري، أبو بكر جابر. 1424هـ/ 2003م. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير. الطبعة الخامسة، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري. تحقيق: عطا، مصطفى عبد القادر. 1411هـ/ 1990م. المستدرك على الصحيحين. الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

حسين، عبد العال. 2010م. منهج القرآن الكريم في الدعوة إلى التعايش بين المسلمين وغيرهم. مجلة كلية أصول الدين بأسيوط. العدد (28)، ص ص 39-55.

الحلبي، علي بن إبراهيم بن أحمد. 1427هـ. السيرة الحلبية إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون. الطبعة الثانية، درا الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

حلي، عبد الرحمن. 2001م. منهج الحوار في القرآن الكريم. تاريخ الاسترجاع 7/ 2/ 2011، على الرابط الإلكتروني: http://cutt.us/0W3Pf

الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي. 1399هـ/ 1979م. د.ت. لباب التأويل في معاني التنزيل. بدون رقم الطبعة، دار الفكر، بيروت، لبنان.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز. تحقيق: عبد المنان، حسان. د.ت. سير أعلام النبلاء. بدون رقم الطبعة، بيت الأفكار الدولية، الرياض، المملكة العربية السعودية.

الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل. تحقيق: داوودي، صفوان عدنان. 1423هـ. المفردات في غريب القرآن. الطبعة الثالثة، دار القلم، دمشق، سوريا.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر. تحقيق: المهدي، عبد الرزاق. 1997م. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان.

زمزمي، يحيى محمد. 1414هـ. الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة. بدون رقم الطبعة، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.

زيادة، خليل عبد المجيد. 1406هـ. الحوار والمناظرة في القرآن الكريم. الطبعة الأولى، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. تحقيق: اللويحق، عبدالرحمن بن معلى. 1423هـ/ 2002م. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

الشرباصي، أحمد. 1388هـ. الإصلاح المنشود للأسرة. بدون رقم الطبعة، مطابع دار الكتب، بيروت، لبنان.

الشعرواي، محمد متولي. 1991م. تفسير الشعراوي. بدون رقم الطبعة، طبعة دار أخبار اليوم، القاهرة، مصر.

صديق خان، أبو الطيب محمد بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي. 1412هـ/ 1992م. فتح البيان في مقاصد القرآن. الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان.

الصمداني، الشريف محمد بن حسين. 1433هـ/ 2012م. رؤية شرعية في الجدال والحوار مع أهل الكتاب. تاريخ الاسترجاع 1/ 5/ 2011م، على الرابط الإلكتروني:- http://cutt.us/FQgTw

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. تحقيق: التركي، عبد الله بن عبد المحسن. 1422هـ. تفسير الطبري المسمى بـ «جامع البيان عن تأويل آي القرآن». الطبعة الأولى، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، مصر.

طنطاوي، محمد سيد. 1421هـ/ 2001م. مختارات من أدب الحوار في الإسلام. بدون رقم الطبعة، دار نهضة مصر، القاهرة، مصر.

طنطاوي، محمد سيد. 1997م. التفسير الوسيط للقرآن الكريم. الطبعة الأولى، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر الشافعي. 1407هـ. فتح الباري شرح صحيح البخاري. الطبعة الأولى، دار الريان للتراث، القاهرة، مصر.

العلوي، يحيى بن حمزة بن علي. تحقيق: هنداوي، عبد الحميد. د.ت. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز. بدون رقم الطبعة، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

العودة، سلمان. 1424هـ. أدب الحوار. الطبعة الأولى، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية.

العيني، بدر الدين محمود بن أحمد. د.ت. عمدة القاري شرح صحيح البخاري. بدون رقم الطبعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

القرضاوي، يوسف. 1993م. شريعة الإسلام صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان. بدون رقم الطبعة، دار الصحوة للنشر، القاهرة، مصر.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر. 1405هـ/ 1985م. تفسير القرطبي المسمى «الجامع لأحكام القرآن». بدون رقم الطبعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

قطب، سيد. 1408هـ/ 1988م. في ظلال القرآن. الطبعة الخامسة عشرة، دار الشروق، بيروت، لبنان.

كامل، عمر بن عبد الله. د.ت. آداب الحوار وقواعد الاختلاف. تاريخ الاسترجاع 10-6-2011م، على الرابط الإلكتروني:- http://cutt.us/ldvJ5

مالك، أبو عبد الله بن أنس الأصبحي. تحقيق: عبد الباقي، محمد فؤاد. د.ت. الموطأ. بدون رقم الطبعة، دار إحياء التراث العربي، مصر.

مجمع اللغة العربية. 1425هـ/ 2004م. المعجم الوسيط. الطبعة الرابعة، مكتبة الشروق الدولية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، مجمع اللغة العربية، مصر.

المراغي، محمد مصطفى. 1985م. تفسير المراغي. الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري. تحقيق: عبد الباقي، محمد فؤاد. د.ت. صحيح مسلم. بدون رقم الطبعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

الندوة العالمية للشباب الإسلامي. د.ت. جماعة أنصار السنة المحمدية. تاريخ الاسترجاع -1ءء5-2012م، على الرابط الإلكتروني: http://cutt.us/oxB3K

النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف. 1392هـ. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج المعروف بشرح صحيح مسلم. الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

الهرري، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الشافعي. إشراف ومراجعة: مهدي، هاشم محمد علي بن حسين. 1421هـ/ 2001م. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن. الطبعة الأولى، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان.

هريدي، مجاهد محمد. 1981م. العلاقات الإنسانية في القرآن والسنة. الطبعة الثانية، دار الرشيد للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.

Dialogue Subjects and Ethics in the Holy Quran

Hussein Abdelaal Hussein Mohammad

Department of Quran Sciences and Interpretation, Faculty of Sharia and Islamic Studies at Al-Ahsa
Al-Imam Mohammad Ibn Saud Islamic University
Al-Ahsa, Saudi Arabia

ABSTRACT

Dialogue is a distinct technique followed systematically in the Holy Quran. It is a suitable method to resolve conflicts among individuals. It is also a major method to call for Allah. Thus, it is critical for those who call for Allah to master such technique.

This work dealt with the meaning and importance of dialogue in addition to the subjects reported in Quran. The work presented the ethics of dialogue including preparing suitable atmosphere in addition to being sincere, fair, humble with good manner, patience, forgiver, compassion to debater, keen to convince him, respectful, and being a good listener. The work also clarified the scientific ethics including knowledge, starting with agreed points, starting with important items, adhering to the dialogue topic, bind to location and set time, give evidence, use examples, accept right argument, and acknowledge mistakes.

The work main results indicated that dialogue is a successful Qur'anic and prophet technique. It also indicated that dialogue ethics should be known and followed. Furthermore, the work proved that dialogue is a scientific and intellectual need that is necessary to keep on track with the developed world. It also indicated that the absence or rejection of dialogue would increase blundering and lagging.

The work recommends that conferences, meetings, and scientific and cultural training programs being organized to prepare Muslim debaters who are able to follow recent political and cultural developments and provide suggestions for improving the relationship among Muslims as well as between Muslim and non-Muslims of other faiths for the welfare of humanity.

Key Words: Dialogue psychiatric ethics, Dialogue scientific ethics.